استكانة

اسم الكتاب: استكانة
التأليف: لمياء أحمد عثمان
نوع العمل: رواية
مراجعة لغوية: سواح للخدمات عبر الإنترنت
إخراج فني: عمرو سالم سواح
رقم الإيداع: 2019/ 15083
الترقيم الدولي: 978-977-835-131-6
الناشر: دار زحمة كُتّاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook
za7ma-kotab@hotmail.com Email
002 01205100596 Tel
002 01100662595

رواية

استكانة

بقلم

لمياء أحمد عثمان

إهداء

إلى من كانت لي حياة

أخذها الموت وتركتني بلا حياة

(أمي)

*****

إلى كل من أهان كرامته مدعيًا أن العشق هو من يدفعه لذلك.

إلى كل من قتلت براءة قلبها ووضعته بيد من لا يستحق

مُقَدِّمَة

استكانة تُناقش علاقات الحب، درجاته الخمسة عشر: الهوى والشغف والكلف والنجوى والوصب، الود، الغرام، الصبوة، الوجد، العشق، الشوق، الاستكانة، الخلة، التتيُّم والهيام، وتقف قصتنا كثيرًا عند **الاستكانة** وهي الإهانة في الحب ومدى هيمنة العاشق على قلب معشوقه.

تجعلك تعرف جيدًا إلى أي درجة وصل حبك؟ وهل توقف أم اكتمل؟ هل كان من طرفٍ واحدٍ أم كان علاقةً كاملةً تستحق المشقة والمثابرة؟ فالعلاقات تحتاج للعديد من التضحيات من الطرفين كي تستمر برضا دون سيطرة أحدهما على الآخر وإلغاء شخصيته. ستجد نفسك بعبارات كثيرة تتوقف عندها وأنت تسأل حالك هل حقًّا وصلتُ لهذه المرحلة؟

البداية

قد تهوى بالحب دون وعيك، تترك نفسك وتفكر فقط بغريزتك فجميع البشر يشتهون الحب لكن ليس من حقنا الحصول على هذه المشاعر إلا من شخص واحد.

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة.

وهي أولى درجات الوقوع في الحب.

الفصل الأول

في ميدان التحرير وسط الزحام وهتافات الثوار سقطت عينه عليها. فتاة في العشرينيات تتكئ على صديقتها غارقة في الدماء خطفته من أول وهلة، هم بمساعدتها. أوشكت على السقوط أرضًا، انتشل شظايا الخرطوش من قدمها وكل منهما سارح بعيني الآخر، سقطت من يدها محفظتها فظهرت بطاقتها، ما زال رنين الاسم بأذنه: نور خالد مندور، صمت لدقائق وتحدث بتعجب.

كريم: أنتِ نور؟ كنت أشعر دائمًا أنني سأراكِ يومًا ما أتذكرينني؟

استكمل بلهجة طفولية: هيا أطفئي النور يا نور. كنتِ تبكين كلما قلت لك هذه الكلمة.

فابتسمت:

- كريم يوسف الحلواني! لا أصدق هذه المصادفة!

تغاضت عن شعورها بالرعب من أصوات الرصاص وتظاهرت بالقوة، وكل حواسها ترجف رعبًا مما حولها كانت تنظر حولها بصورة غير طبيعية.

تبادلا أرقام الهواتف وجرى كل منهما في اتجاهٍ بعد إلقاء الشرطة لغازٍ مسيلٍ للدموع، اتكأت على صديقتها ودخلتا إحدى العمارات لتحتميا بحارس العمارة فهذه المرة الأولى التي تستنشق

فيها الغاز المسيل للدموع. تسمع أصوات الرصاص، تحدق عينها في الناس وتتساءل: "من أين أتت لهم الجرأة على الوقوف وسط الرصاص؟ فلولا ما تفكر به ما نزلت لميدان التحرير قطُّ، في طريقهما للمنزل نظرت صديقتها ميرا لها بدهاء.

ميرا بخبثٍ وهي تخبط نور في كتفها:

- من هو كريم؟

فتنهدت نور في محاولة لإنهاء الحديث وقالت:

- صديق طفولتي ليس إلا.

طلبت منها أن تصمت؛ لأنها تفكر ماذا ستقول لوالديها عن الجرح الذي بقدمها!

سرحت نور محدثة نفسها بعد أن قررت أن تغير مسار تفكيرها، تفكر برؤية كريم صديق طفولتها أول من تقرب إليها ليشعرها أن العالم به كثير من البشر كان بمثابة أخ لها، صديقها الأوحد فترةَ طفولتها، انتقلت مع أسرتها لمنطقة أخرى فانقطعت أخباره عنها. وها قد عاد من جديد.

- "تووووت".

قالتها ميرا مقاطعة شرود نور فضحكتا معًا.

*****

في منزل خالد مندور، ألقت نور السلام على والدتها بابتسامة مشرقة فتوجست والدتها وبتعجب رافعة حاجبًا عن الآخر.

- ماذا تريدين؟ بالتأكيد وراء هذه الابتسامة كارثة كبيرة فعلتها ابنتي البائسة!

انكسرت نور من وقع هذه الكلمة على أذنها، فبعد كل ما تحملته ومرت به تراها والدتها بائسة. لم تقصد ما شعرت به فحاولت أن تغير مسار الحديث. تنحنحت تسألها أين كانت منذ الصباح. فتحت عينيها ووضعت يدها فوق فمها حين رأت آثار الدماء على ثيابها سألتها: أين كانت؟

فقالت بصوتٍ خافتٍ:

- كنتُ بالميدان كي أموت! أتمنى ألّا أعيش يومًا آخر. أنا جسد بلا روح.

تحدثت والدتها بجمود:

- لن ترحميني يا نور من هذه الحكاية؟! كيف ذهبتِ للميدان وأنتِ تخافين من صوت فرقعة يفتعلها الأطفال لهوًا احتفالًا بشهر رمضان؟!

صمتت نور؛ فما بداخلها يكفيها، كيف توضح لوالدتها كسرة فرحتها وضياع كل شيء منها بلحظة؟! فمن يتمنى الموت لن يهمه مخلوق على وجه الأرض، يهوّن الأمر على نفسه وكأن الحياة بأكملها اتفقت على هدمه.

تنحنحت والدتها بعد أن زفرت:

- ليس لدي أحد غيرك، ابنتي أنتِ آخر أملٍ لي في الحياة، أتمسك بك لأقوى على العيش، تمدينني بشعاعٍ من الأمل موجه لقلبي يعطيني إشارة أنّ غدًا أفضل.

لم تتغير نبرة الحزن في صوتها من كلمة والدتها فنور لم تسمع كلمة واحدة دون أن تدوي بداخلها آلاف المرات. دخلت غرفتها تنظر في المرآة رافعة شعرها الأسود الغجري لأعلى، ارتدت جلبابًا أبيض ينتصفه صورة هِرَّة رمادية اللون وجلست على فراشها. فتحت الحاسوب الخاص بها، بحثت عن رقم كريم بالفيس بوك فظهر إيميله وصور متعددة مع أصدقائه معظمها لصديقٍ واحدٍ وهو تامر صديقه المقرب، تأملت ملامحه بكل صورة ترجف وتحدث حالها فهذا حلم حياتها بطفولتها حين كانت بريئة خاوية من الجراح أكبر همومها بالحياة ماذا ستقول لوالدتها كي لا تأكل طعامها كاملًا؟ كان أول شخص يخترق حاجز الخوف الذي صنعته لنفسها بعد الحادث اللعين الذي أفقدها الطمأنينة، أغمضت عينيها، سرحت معه بعالمها الخاص فهي تبحث عن الحب طيلة عمرها تتمنى أن يهتم أحدهم بشأنها. ماذا تفعل؟ لأول مرة ترى هذه النظرة بعين رجل لها! هل أعجبت به أم هذا مجرد تعطش للجنس الآخر ليس إلا؟! فمشاعرها جافة منذ فترة لا بأس بها تحتاج لرشفة حنان، صمتت نور تتساءل هل هذا حلم أم بالفعل سيعوضها الله عن جرحها الماضي وهذه مجرد إشارة من الله أنه ما زال هناك أمل؟ ابتسمت بسخرية من نفسها ولسان حالها يقول

كفي عن هذه الأفكار لم يحبك أحد، وحيدة أنتِ حتى أبد الدهر.

دق الهاتف، كان المتصل "كريم" يسألها عن أحوالها لم يصدق حاله أنه تقابل معها بعد كل هذا العمر فالدنيا كحلقة صغيرة ندور بها لنتقابل مع الأشخاص نفسها بأزمنة مختلفة دون تدخل منا نتعجب حين نراهم ونقول إن الدنيا ضيقة، لم نعلم أننا نحن من نضيق الزمام على أنفسنا نحتك بنفس نوعية البشر ندور وندور بدائرة الحياة حتى نسقط من شدة الدوار.

سألته عن أحواله فهو تخرج في كلية التجارة، لم يجد عملًا حتى الآن ليس لديه إنجازات ليفخر بنفسه أمامها.

لم ير كريم بحياته أنثى كَنور برونقها، شعرها الأسود الطويل، عينيها الجميلتين، اهتمامها به فالشيء المشترك بينهما منذ طفولتهما هو عشقهما للاهتمام، يتمنيان أن يهتم بكل منهما أهل الأرض جميعًا فهل يعترف أنه يراها كلما نظر لأنثى، سألها عن أحوالها وطمأنته أن كل شيء على ما يرام. صمت لدقائق فصمتت ظن أنها أغلقت الخط لكنه همس بفضول:

- هل أنتِ مرتبطة يا نور؟

فهل تخبره بحكايتها التي تخجل من الإدلاء بها أمام أي من البشر أم تكذب مدعية قصة حب أسطورية؟

*****

الوجد: الحزن الدائم والتفكير في المحبوب.

ما أحزن القلب حين تهيمن عليه الوحدة يتذكر لحظات موجعة في حياته يفكر دائمًا في الحبيب ويمتنع عن التفكير بأي شيء آخر سواه.

الفصل الثاني

بعد لحظات من التفكير المرهق والدمع الخفي الكامن بسرائرها رفعت شفتيها لأعلى معلنة رفضها لهذه الحالة التي هي عليها حتى الآن، لم تكن هذه النهاية التي تمنتها لكنها مجبورة على قولِ وفعلِ ما لا يروق لها.

أجابت عن سؤاله بنفس غير راضية:

- نعم تمت خطبتي منذ فترة لكن تدخل النصيب ولم تكتمل.

- أتمنى لكِ حياة سعيدة وأن يعوضكِ الله بخير مما سلف.

ثم أغلق الخط فورًا وكأن أحدهم بانتظاره أو شعر بالضيق مما سمع منها.لم تفهم الأمر.

تُحدث حالها: لا أعلم لمَ أخبرته بذلك لكنني شعرت بتِلال تتلاشى من صدري بمجرد البوح له، هل أخبره عن قسوة ما مررت به أم أحتفظ بجرحي لنفسي؟

تذكرت ياسر، ابتسامته، كلماته الحنون النادرة، ابتسمت ورفعت شفتيها لأعلى، ترقرقت بعينيها دمعة لكنها سالت من أعماق قلبها كيف تحول الحلم لكابوس مريب ما زالت مرارة الدمع بحلقها، تلك النظرة، الرجفة التي انتابتها فور خروج نتيجة الفحص حين ذهبت معه ليجري بعض الفحوص، من بين الفحوص طلب الطبيب لمجرد الاطمئنان أشعة مقطعية على

الصدر، كانا فقط يريدان تقريرًا من مستشفى حكومية بسلامة رئته أو أنه غير مصاب بأي شيء يمنع سفره، قام الطبيب بأخذ صورة، خرج من غرفه الأشعة بعد أن خرجت النتيجة، نادى باسمه، كان يبدو القلق على وجهه فأخذت منه الأشعة، ما زالت عيناها عالقتين بنظرته المملوءة بالحزن فتحدثت بخوف:

- أنا خطيبته يا دكتور خير؟

أجاب بصرامة واقتضاب: ممَ يعاني خطيبك؟

- ولا أي شيء! أتى له عقد عمل خارج مصر، هذه إجراءات لاستكمال الأوراق.

ضرب كفًّا فوق الآخر، هزّ رأسه يمينًا ويسارًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

اقشعر بدنها، أدركت أن هناك أمرًا سيئًا فتحدث الطبيب بحزن: خطيبك لديه ورم سرطاني في الكبد والورم بدأ ينتشر في الأعضاء التي تجاور الكبد.

كفكفت دمعها بيدها، حاولت أن تتمالك أعصابها، حاولت حبس دموعها لكنها فشلت بجدارة فانفعالاتها تظهر على وجهها مهما، حاولت أن تخفيها قالت برضا وحزن دفين وكأن طودًا من الحجارة سقط فوق رأسها وتلاطمت بين الحجارة كلما تجلس تسقط مرة أخرى:

- قدر الله وما شاء فعل.

شاب في مقتبل عمره ستنتهي حياته بمأساة فتحدثت ببصيص من الأمل: لو العلاج بالخارج سينجيه؟

قاطعها الطبيب: لا يوجد داعٍ للسفر هو سيحجز في معهد الأورام كي يعيش شهوره الباقية ما بين العلاج الكيماوي والعلاج الإشعاعي.

جاء من بعيدٍ رآها تكاد أن تسقط من طولها فأتى إليها مسرعًا فاستوقفه الطبيب وصارحه بحقيقة مرضه فانكمشت جبهته وسقط مغشيًّا عليه وكل ما فعله أن قرر البعد عنها وتركها، كيف تتحمل كل هذه المصائب؟

صمم أن يفترقا، منعته هي من ذلك لكنه كان حاد الشخصية، لم تتركه، دائمًا ما كانت تزوره بالمشفى دون علمه تبرعت له بالكثير من أكياس الدم كادت تموت بدلا منه. كان بوسعها التبرع بنبضها مقابل حياته لكن الإرادة الإلهية تدخلت وأخذ الله أمانته. منعها والدها من حضور جنازته، أما عنها فهي أجرت مراسم دفنه بخيالها لم ير الجميع حزنها لم تبك، تصرخ، تهلل، تفقد وعيها اتهموها بالبرود لكن قلبها الدفين كان يعتصر حزنا على فقدان حبيبها مع أول تجربة لها بالحياة تفقده، مجرد مكالمة هاتفية ورثاء قدمته لأخته بالهاتف لم تفرغ مشاعرها كبتت وكتمت بداخلها.

قاطعت والدتها شرودها:

- نور نور أناديكِ ابنتي ماذا تفعلين؟

لاحظت والدتها الدمع العالق بعينها وصورتها مع ياسر بيدها المبتلة بالدمع فربتت على يدها:

- مرة أخرى يا نور؟! ألم نتفق أن نرضى بإرادة الله يا بنتي؟!، اعلم مدى عمق الجرح بقلبك، أشعر بك وبروحك المنهمكة من قسوة أحكام الآخرين عليك. اتهمك الجميع بجفاء القلب حتى أقرب الأقربين وأنكروا مشاعر الحزن لديك بل وسخروا منك. كل ذلك زاد من وجعك لكن والدك ابتعد عن الجميع وقرر أن لا يعدهم عائلته كي يفوز بكِ.

أشارت وهي تضم صورته بيدها:

- إذا كنتِ تريدينه أن يرتاح بقبره فاستمري بحياتك.

ردت نور بنفاد صبر وانكسار تلوم والدتها، كيف تعيش مع غيره وترتدي ملابسها التي اختارتها خصيصًا من أجله؟!! خيل لها بيتهما، أولادهما، رأت نفسها معه تحت سقف واحد بخيالها ألا يكفي ذلك؟!، فهي ستموت بكل لحظة إن تزوجت غيره أقسمت لها أنها تحاول إقناع حالها بحب أي شخص تقابله تعلم أنها مخطئة لكن كل ما تريده هو الخروج من صومعة الذنب التي ألقت حالها بها، أخبرتها أنها تقابلت مع كريم حاولت أن تتناسى أعوامها مع ياسر.

تتذكر "كريم" ومشاعرها الطفولية خيل لها أنه حبيبها كذبت على حالها.

تمالكت والدتها ومنعت دمعها، أخذت نفسًا عميقًا وقالت

بثقة: لم يستحق ياسر رحمه الله كل هذا الحب ابنتي.

لاحتْ أعين نور وصرخت بوجه والدتها: اصمتي أمي.

أمها بغضب: لا يستحق.

نور منهارة: اصمتِي، اصمتِي أعلم أنه لم يحبني مثلما أحببته، اصمتِي أرجوكِ أرجوكِ.

جلست والدتها بجوارها تكفكف الدمع المتساقط من عينها بعد أن نامت. ما زال الدمع يتساقط من عينها وتتنهد تبكي دون وعي بالوجع لن ينقضي بمجرد الخلود للنوم فالقلوب لن تنام والعقول لا تكف عن التفكير بالحب مهما حدث.

وفي تمام الساعة العاشرة مساءً أتى والدها غاضبا. دخل الشقة فألقى بحقيبته الرمادية وانتزع حذاءه وذهب إلى المطبخ وكشف الطناجر. التهم قطعة من اللحم المحمر وهو يحدث رويدا بجدية وعيناه تشير إلى غضبه يسأل عن نور.

بمنتهى الصدق والبراءة أجابت: نائمة منذ أن عادت.

والدها بتوعد: لن تخرج بعد اليوم إن شاء الله، لن ترى النور.

فارتبكت والدتها، تعلم أن نور مصائبها كثيرة، سألت حالها: ماذا عرف كي يغضب لهذه الدرجة فنور هي ضي حياته لكن.........؟

*****

الكلف: الولع وشغل القلب بالشخص، اللوعة بالحب من أكثر درجات الحب لوعة وحرقة تجعلك تتأرجح بين الرفض والإيجاب، بين الارتباط والوحدة وكأنك على شفا حفرةٍ من نار والجنة على بعد خطوة تتأرجح لا تعلم إلى أين ستذهب.

الفصل الثالث

لكنها تعلم أنه لن يقسوَ عليها مهما فعلت.

طرق والدها باب غرفتها فوجدها نائمة فحاول أن يتمالك أعصابه ووضع يده على جبهتها وتحسس خصلات شعرها فاستيقظت، قبلت يده وقالت بحنان:

- أبي أنت غاضب مني أعلم ذلك جيدًا لم أسمح له بإهانتي تركت العمل وعدت للمنزل قبل أن أحطم المكتب فوق رأسه.

تحدث بغضب: هذا ليس من اختصاصاتك يعاقب من يشاء فهو نائب مدير الشركة.

خبطت يدها بالحائط: لكنه ليس صاحبها! مَن هو ليمنع رزق رجل مسكين ويتعالى عليه؟ لن أسمح له بذلك.

دخلت والدتها الغرفة وطلبت من والدها أن ينهي الحديث وأخبرته أنها شعرت ببعض التعب بعد أن عادت لم تخبره بما حدث تفصيليًّا كي لا يحزن على ابنته التي كفنت قلبها ودفنته مع رجل لا يستحق حبها من وجهة نظرهما.

خرجا للصالة وجلس كل منهما بركن من الأنتريه الرمادي اللون واحتسوا فناجين القهوة وهم يشاهدون معًا أحداث اليوم بميدان التحرير وارتكزت الكاميرا على نور تقف مع شابٍّ طويل القامة بشرته سمراء عيناه سوداوان شعره ناعم وغزير تجلس بعربة

الإسعاف وممرضة تداوي قدمها، فنظر لها والدها نظرة عتاب وتعجب من نور ابنته التي تخشى من الذباب بميدان التحرير كيف ولماذا؟ فقال وهو يهز رأسه:

- لهذا السبب افتعلتِ شجارًا بالشركة كي تهربي للموت مثل ياسر أليس كذلك؟

حاولت أن ترد على حديثه لكنها صمتت لم تقوَ على الحديث بعد أن ذكر اسمه اكتفت بالنظر إليه فحاولت والدتها أن تغير مسار الحديث فسألتها:

- أهذا الشاب هو كريم؟

والدها باندهاش: مَن كريم يا نور؟

اقتربت منه واضعة يدها حول عنقه: كنا ندرس معًا بالمدرسة.

ضحك كثيرًا متذكرًا حكايات نور عن كريم ودميتها الصغيرة التي ابتاعها لها فأطلقت عليها اسم «مرمورة» وقالت إنها ابنة كريم، نظر والدها لدميتها التي تضعها دائمًا فوق الرف الزجاجي وقال بمزح:

- إذن عاد والدك يا مرمورة.

والدتها بسعادة: طويل هو والدك يا مرمورة، والدتك تقترب من الأرض.

ضحك الجميع وخلدوا إلى النوم.

تشاجر كريم مع والده بعد أن صرخ بوجهه وهو يحادث نور حقًّا لم تسمعه نور لكن كان محتملا أن تسمع وتعلم أن والده يعامله كطفل أو كعبد لديه يكره وجوده وينبذه دائمًا ما يرسل له إشارات أنه لا يريد وجوده بالحياة.

كريم يتكئ على طرف المقعد يضيء النور ويطفئه مرات متوالية يتذكر تلك المصادفة التي جمعته بنور. لقد كان بأمَسّ الحاجة لمنفذ يعود به ليستنشق جمال الحياة مرة أخرى رغم علاقته بهاجر ما زال يحلم بكلمة صادقة تروي عطش قلبه المشتاق للحياة لقد افتقد الحنان طيلة عمره لم يشعر بوجود أهله بجواره لم يعرف للأمان طعمًا لم يدرك المعنى الحقيقي للعائلة مع أب يأبى الحنان على ولده الوحيد وأم ترجف حين تسمع كلمة من زوجها، ظهرت بحياته هاجر الفتاة السمراء ممشوقة القوام يتزين وجهها بالحجاب فيزين ملامحها المميزة بصغرها وعينيها الواسعتين بلونهما العسلي، تحركت مشاعره تجاهها، نظرًا لخجله كان كلما نظر إليها بمدرجات الجامعة تحمرّ وجنتاه، تجري القشعريرة بأنحاء جسده، تذكر حين تجرأ للمرة الأولى وتحدث معها.

- هل من الممكن أن آخذَ منك دفتر محاضراتك، فقد لاحظت التزامك في الحضور؟

هزت رأسها بالإيجاب.

فسألها هل ممكن أن يأخذ رقمها كي يعيده لها؟

اقترب موعد المحاضرات على الانتهاء لنستعد للامتحانات تبادلا نظرات الإعجاب ونشأت بينهما صداقة عميقة فباتا لا يفترقان وبآخر يوم من امتحانات الجامعة اجتمع الأصدقاء.

- هاجر: أشعر أنني لن أراكم ثانية.

لم ينطق كريم بل نطقت عيناه وبدا شوق سنوات ولهفة كبيرة: لا تقولي إنك ستموتين فأنتِ سر وجودي.

فأجابت عيناها: إني كاذبة فقط كنت أتلهف لهذه النظرة بعينيك.

ومن هذه اللحظة بدأت حكايتهما.

كريم محدثًا ضميره: لماذا انجذبت لنور؟، خطفت روحي ولأول مرة أداري شيئًا عن هاجر حبيبتي!

اتصل بهاجر فأجابت على الفور

كريم بجدية: هاجر ضميري يؤنبني؟

- اعترف ماذا فعلت؟

- وأنا في ميدان التحرير

قاطعته هاجر وبغضب: الميدان ثانيةً؟! ألم أقل لك إني أخشى عليك حين أسمع صوت الرصاص يصرخ قلبي باسمك حين يقولون سقط شهداء أهرول كالمجذومة لأسمع صوتك وحين أسمع صوتك ترد روحي من جديد سامحتك لكن لا تذهب

الميدان مرة أخرى أرجوك.

ازداد ارتباكه.

- لكن يا هاجر ليس هذا ما أود أن أعترف به

هاجر بشغف وفضول: ماذا فعلت لستُ مطمئنة؟

كريم بتردد: تقابلت هناك مع صديقتي منذ الطفولة تدعي نور وشعرت بانجذاب وإعجاب دفينين بها شعرت حينها أنني أخونك بمشاعري فقررت أن أعترف لك.

تلعثم لسان هاجر ودب الرعب نواقيس قلبها لا تعلم لماذا تعالت دقاتها بمجرد سماع اسم نور

لم تظهر هاجر غضبها للحظة وهذا ما ينقص كريم فقط بعض الاهتمام والشعور برجولته ستبقى تلك النقطة الفاصلة بينه وبين هاجر غيرت هاجر مسار الحديث وبجدية: متى ستأتي لتقابل والدي؟

زفر كريم بغضب:

- أخشى أن أقول ذلك أمام أبي أخشى من صوت نفسه كيف سأخبره بكل جرأة أنني أريد أن أتزوج فهو دائمًا غاضب من وجودي؟!

غضبت وقالت:

- إلى متى سنظل على هذه الحال؟ كريم أنت لست جديرًا

بالمسؤولية، أنت لست على قدر من الثقة التي أعطيتك إياها.

بدأت تتهمه اتهامات عديدة حتى صرخ بوجهها

- إلى متى ستظلين تتهمينني كذبًا؟ أنتِ عاشقة للتقليل من شأني وستظلين كذلك لذا أنا متأكد أن مشاعرك تجاهي مليئة بالزيف.

أغلقت الخط وأجهشت بالبكاء إلى متى ستظل على هذه الحال؟ تخشى خروج كريم من دائرة حياتها لكنها لا تجد حلًّا لهذه الأزمة فلن يخلصها من تحكمات عمها سوى قبولها الزواج. تحب كريم ولكن هل يصل قدر هذا الحب إلى أن تنتظره؟

*****

ذهبت ميرا ونور لميدان التحرير مرة أخرى فوجدت شابًّا يصرخ بعد أن تلقى طلقة بذراعه اليمنى بمحاولة لإنقاذ صديقه الذي لقي مصرعه بطلقة بقدمه لكنها وصلت لشريان قلبه وتوفي في الحال.

*****

الخوف هو أكبر عدو من الممكن أن يلازمك يقتلك ببطء لتتخلى عن أي شيء مقابل التخلص من خوفك.

الفصل الرابع

وحين اقتربت وجدته كريم لم يصرخ من الألم كما ظنت لكن من لوعة الفراق يسير أمام عينيه شريط ذكرياته مع صديق عمره لم يشعر بوجود نور هذه المرة لكنها تعمدت الذهاب إليه:

- كريم ممكن أن تهدأ! إن شاء الله الجرح سطحي

- الجرح في قلبي يا نور، مات من يعطيني الصبر على هذه الحياة لن أعود للميدان ثانية سأطلب حقنا جميعًا من ربي، انكسر ظهري منذ هذه اللحظة تامر صديقي وأخي وأبي آآآآآآآآآه من وجع قلبي.

تجاوزت نور عن حيائها ولمست وجهه لتكفكف دمعه، دق هاتف كريم فأجابت نور اندهشت حين سمعت صوتًا أنثويًا. نعم إنها هاجر.

هاجر: كريم هل أنت بخير؟

نور: كريم مصاب يا آنسة

هاجر بلهفة يتخللها بعض الغضب: من أنتِ؟ وأين هو؟ أنتِ كاذبة كريم توفي؟!

صرخت نور بوجهها: اخرسي لن يتوفى كريم سيبقى مع............. ثم صمتت لتفهم ما يخرج من فمها

صمتت هاجر وحاولت أن تتمالك أعصابها:

- فقط أريد سماع صوته قولي له هاجر ستموت إن لم تحادثك.

(أعطته الهاتف وهي تزفر)

- يا كريم أرجوك طمنها، أعطت نور الهاتف لكريم فصرخ وهو يقول: تامر مات يا هاجر تامر مات لم يتبق لي أحد.

أغلق الخط

اتصلت مرة أخرى وبلهفة قالت:

- أين أنت؟ سآتي إليك ولو سيقتلني عمي.

- في الميدان أمام المترو أنا بخير أرجوكِ لا تأتي.

عادت نور للمنزل مهشمة المشاعر بعد أن سمعت كلمات هاجر تذكرت حالها حين فقدت ياسر لم تكف عن سماع صوت كريم يتردد بأذنها ما زال صراخه يلمس كيانها، ما زال صراخ روحها مستمرًّا. ترددت للحظات تمسك هاتفها ثم تتركه بسرعة حتى قررت أن تتصل به.

- كريم أنت بخير؟

- أنا بالمشرحة أُنهي إجراءات دفن روحي مع صديق عمري.

حاولت أن تخرجه من حالته فضحكت بدهاء: هاجر تحبك كثيرًا منذ متى أنتما مرتبطان؟

أجاب دون اهتمام:

- من أيام الجامعة لكن لم تحبني لهذه الدرجة انخدعتِ بها كما انخدعت أنا.

أخذت نفسًا عميقًا وكأن كلامه طمأنها وبافتعال شخصية العاقلة: أنتم الرجال جميعكم قساة القلوب كادت تموت من الخوف عليك.

تنهد وطلب منها أن تغلق الخط فاعتذرت وتذكرت أن ليس هذا وقت الحديث

فارتدت نور عباءتها السوداء المرصعة بالأحجار الزرقاء ولأول مرة تُزين وجهها بالحجاب الأسود وتوجهت إلى المشرحة لمؤازرة كريم في مصيبته وهناك رأت ما أثار الرعب بقلبها، رجل يمسك بأكياس تملؤها أشلاء البشر، اقشعر بدنها تترقب كريم من بعيد وهو يكفكف دمع والدة صديقه الجالسة أرضًا تضع التراب فوق رأسها وتصرخ وكأنها تقف على جمرات من النيران فيهدئها الجميع، سيأخذك تامر للجنة اهدئي فتجيب بانكسار وحسرة:

-كنت أتمنى أن آخذَه لعروسه وأحمل أولاده على كتفي لكنه ضاع دون مقدمات أعددت له ثيابه وقبّل جبيني برفق دعوت له أن يحفظه الله لكنه رحل دون رجوع.

كريم: استغفري يا أمي ابنك عريس.

كان الموقف صعبا على قلبٍ كقلب نور.

عادت نور للمنزل وهي بحالة لن تحسد عليها فلاحظت والدتها ارتباكها فقالت.

- ألا تتناولين العشاء يا نور؟

أجابت وهي تتثاءب من شدة التعب:

- أنا جائعةُ نومٍ يا أمي. تصبحين على خير.

دخلت غرفتها وتسطحت على فراشها والدمع ينهمر من عينها رأت شريطًا من الذكريات المؤلمة أمامها تذكرت موت ياسر بكل تفاصيله المؤلمة نامت والدمع يغرق ملامحها وفي منامها رأت كابوسًا مرعبًا رأت نفسها تنام على فراشها وياسر يشير إليها من بعيد كي تذهب له وهي خائفة جدًّا ثم سحب قدمها فاستيقظت مسرعة وملامح الرعب ترتسم على وجهها جرت لغرفة والدها وأيقظته.

نور برعب ودقاتها تتصارع مع أنفاسها

- أبي أنا خائفة هل ممكن أن تأت للنوم بجواري؟

بلهفة وخوف فاق الحدود:

- ماذا بك حبيبتي خائفة؟

أجابت ويداها ترتعشان من الخوف

- أكاد أن أموت رعبًا يا أبي!

ذهب معها لغرفتها وأخذها بين ذراعيه ونامت كما لم تنم منذ مئة عام وأكثر واستيقظت صباحًا وجدته يحتسي كوبًا من الشاي بالحليب بجوارها رمقته بحب

- أبي حبيبي أنت بجواري منذ البارحة.

تحدث بدلال:

- ومن أغلى لدي من فلذة كبدي، صديقتي طفلتي الكبيرة نور عيني نور

اعتدل بجلسته وسألها باكتراث: ما هو الكابوس الذي رأيتِه؟

حاولت أن تتهرب من سؤاله فأشارت لوالدتها تسخر من جلبابها الرمادي هزّ والدها رأسه برضا حين تأكد رغبتها في الصمت فخرج في الحال ليجهز ليوم شاق بشركته وطلب منها أن ترتدي ملابسها ليأخذها معه دون نقاش بعد شجارها مع أستاذ/ سيد نائب مدير الشركة.

لم تخرج والدتها من الغرفة بل جلست بجوارها تتحسس خصلاتها الناعمة تسألها عن سبب خوفها لكن نور العنيدة تحدثت بحدة

- هيا أمي أحضري لي فستاني الأزرق وسأحكي لك فيما بعد

*****

تجلس نور بمكتبها الواقع بجوار مكتب صديقتها ميرا تكاد تكون مغيبة عن الوعي محدثة نفسها فما أقرب نور إلى حالها رغم كرهها لصفات كثيرة بشخصيتها وعدم رضاها الكامل عن حالها ومشاعرها التي تدفعها بقوة لتتصرف وفق ما يريد قلبها هي صديقة لنفسها تتقوقع داخل حالها نعم لم تجد الراحة إلا بتفريغ روحها مع نفسها، سألتها ماذا بكِ يا نفسي؟ ما الذي يقف حيال نومك لمَ تشعرين بهذه الغصة؟

فأجابت بتهدج وكيان محطم:

- ألا تعلمين يا نور بماذا أعاني؟ ألا تتذكرين ياسر البارحة لم تري حبيبك بالنعش بدلًا من تامر إلى متى ستحتفظين بدمعك؟ إلى متى ستخفين مشاعرك وتنهمر دموعك لتغرق وسادتك؟

أظهري حزنك يا نور أنتِ إنسانة مِن حقك أن تحزني لا تخشي همهماتهم لن يملكوا سوى ألسنة تتخبط بقلوب البشر فتجرحهم.

ضربت ميرا المكتب لتقطع شرودها فأغمضت عينها وفتحتها مرات متوالية.

- ما الذي يشغل بال أميرتي الجميلة؟

صمتت قليلًا ثم قالت:

الجراح في الحب

كثيرٌ من العلاقات تفشل بسوء فهم وإلقاء كل طرف المسؤولية على عاتق الطرف الآخر فتصبح العلاقة مؤذية وموجعة تنتهي بألم ووصمة من المشاعر المؤذية لن تمحي مهما مر بنا الزمان بل تدفن مع صاحبها.

الفصل الخامس

صمتت قليلًا ثم قالت: حبيبها، عمرها، قلبها، نبضها، أول من دق قلبها، نطق باسمها وعشقها دون غيرها.

أعجبت ميرا كثيرًا بما قالته لها وطلبت منها أن تتنازل وتكتب هذه الكلمات وتحتفظ به لكنها رفضت وبشدة فهي تخجل من اطلاع أحد على مشاعرها الخاصة.

تذكرت ميرا ما قرأته بمذكراتها حينها سقط الدمع من عينها دون أن تدري حقا نور تمتلك من المشاعر ما يجعلها تمس القلوب برقة كلماتها فتخترق القلب فهي إنسانة حساسة تتميز برقتها، وبالطبع أتى عدو السعادة أ. سيد ليقطع حديثهما وجلست كل منهما على مكتبها تنظر بالأوراق. بينما هي تنظر له من تحت الأوراق بعتاب تنحنح واعتذر لها على انفعاله، فقبلت على مضض فهي الآن لا تكترث إلا بخوفها وشعورها بالعجز حيال التعامل مع نفسها فما أصعب أن يوضع المرء في اختبار كهذا يفشل في إسعاد -بل فهم- ما يحتاجه، يتخبط بالحياة ويبحث طيلة الوقت عن مفتاح لفك رموز حجر رأسه وحين يتأكد أنه فشل بجدارة يجلس أمام حائط مسدود ليس وراءه شيء يصرخ وكأنه بجبل مهجور تتوالى صرخاته لكن لم يسمع دويها غيره.

*****

اتصلت هاجر بكريم تطمئن عليه بعد رحيل نصفه الآخر فلامها على غيابها في أثناء العزاء وهجْرِها له منذ الليلة الماضية، رن بأذنه كلام نور

- هاجر تحبك كثيرَا، تحبك كثيرًا

- أين كُنتِ البارحة ألم تقولي إنك ستأتين للعزاء ونتناول العشاء معًا؟

زفرت تهربًا من استكمال الحديث

- أتى ضيوف لمنزلنا فلم أقوَ على تركهم

فتحدث بغضب عاقدًا حاجبيه

- «سيف» بالتأكيد! فحين يأتي أصبح أنا غير مهم بالمرة!

غضبت من كلمته وأسقطت عليه غضبها متهمة إياه بالتقصير فلو تقدم كريم لخِطبتها سيمحو عمها فكرة زواجها من سيف أو على الأقل سيفكر في أنها من الممكن أن تتزوج أي شخص من خارج إطار العائلة، كريم لم يتنازل ويحاول من وجهة نظرها، دب شجار عنيف بينهما.

لم يلتمس كريم لها أعذارًا فالأمر يتعلق بكرامته بل يلوم حاله على إعطاء قلبه لمن لا يستحق.

استشعر من حديثها أنها حقًّا فضلت أن تبقى مع سيف ولا تؤازره وهو بأشد احتياج إليها فما أصعب على المرء من أن يجد نفسه وحيدًا بلا صديق، فالصديق الحقيقي لن يعوض ولو كان

حولك ألف من البشر، ستشعر بفجوة بجدار قلبك كلما نطق أحدهم كلمة كان ينطقها.

أغلق الخط والدمع يترقرق بعينه وهو يقول لنفسه:

- ما هذه الفتاة غريبة الأطوار؟، تارة تبكي خوفًا من الفِراق وتارة تبتعد بقسوة وتتمنى الهَجر؟!!، لا بد أن تختار بيننا أنا لستُ بديلًا عن سيف، استحالة أن أقبل العيش معها بنصف قلب.

بعد أن استعادت قوتها مما قاله واتهاماته لها، كفكفت دمعها واتصلت به عشرات المرات لكنه وصل لطريق مسدود معها، طفح كيله من ترددها، لمَ تريد أن تتزوج؟ لمجرد الزواج فقط أم تُرضي غرورها بعشقه لها؟ ما هو سر إلحاحها على تقدمه لخطبتها؟، لم يكن سبب إصرار عمها على زواجها من سيف سببًا كافيًا بالمرة، لكنه أمر حقيقي، بصيص أمل تتعلق به لتخرج من دائرة التحكمات وتعيش مع من اختاره قلبها.

شَعَر كريم بألم بيده فتذكر صديقه وهو يبتسم بعينه، يلتقط أنفاسه الأخيرة قطعت بكاءه نور تطمئن على حاله وصوتها مختلف عن أي مرة:

- ماذا بكِ يا نور؟ صوتك مختلف

- أبدًا.. قلة نوم ليس إلا......

استشعر من نبرتها أنها تُخفي شيئًا ما لكنه اكتفى بمجرد سلام واطمأن كل منهما على الآخر فبكل منهما ما يكفيه ليصمت تمامًا

ويمتنع عن كل شيء بالحياة.

فالعشق يدفع المرء للإقبال على الحياة يزين وجهه بابتسامة، تلمع عيناه من شدة الفرح وكل منهما ذابل من جفاء مشاعره.

*****

طلب سيد من ميرا أن تأخذ ملف خطة الأسعار لأستاذ خالد، اقترب هو من نور، اقترب جدًّا كاد يلتزق بوجهها كي يعتذر لها فتحدثت بلهجة صارمة

- أنت بالتأكيد شخص مجنون لماذا تقترب مني لهذه الدرجة؟ ماذا تريد؟

دخلت مكتب والدها والغضب يتطاير من عينيها تشكو من هذا الفعل الذي ترفضه فاستعطفه أ. سيد وقال بكل سذاجة وخبث:

- هي مثل ابنتي أردت أن أراضيها لن أقوى أن تغضب مني ابنتي.

فتحدث والدها بلهجة تحمل كثيرًا من اللهفة لأول مرة تسمعها وطلب منها ألا تتحدث مع أ. سيد على الإطلاق حتى في شؤون العمل وطلب منها أن تخرج من المكتب فخبطت الباب بقوة وغضب.

أشار بسبابته لأستاذ سيد فجاء إليه وأخبره بحزم أن نور هي من تبقى له في الحياة وإن فكر بيوم من الأيام أن يضايقها فسيقطع رأسه بل يقيله. فتوسل إليه سيد تحججًا بأولاده الذين يعيشون من قوت يومه فذكره هو أن نور ابنته يحبها تمامًا كحبه لأولاده.

- في مكتب نور مندور:

نور تلملم أوراقها وتغلق درج المكتب استعدادًا للرحيل، حين وصلت للمنزل ووضعت مفتاح الشقة بالباب اقتربت والدتها من الباب تسألها بتلهف وخوف

- خير! ماذا حدث؟ لمَ أتيتِ باكرًا؟

روت لها ما حدث فأحضرت لها عصير ليمون بالنعناع كي تهدأ وهي متأكدة أن زوجها لن يسمح لشخص أن يؤذي نور، انتزعت نور فستانها الأزرق واستبدلته به بنطالا أبيض بخطين رماديين وبلوزة رمادية مكتوب على صدرها باللون الأبيض (strong women) أحضرت مناديل مبللة مخصصة لإزالة المكياج وبدأت تزيل ما تخفي به ملامح حزنها وما إن مَحت كل شيء حتى ظهرت عينها المنتفخة من البكاء متذكرة حين كانت صغيرة في بداية بلوغها، تترنح بالشارع لتشتري كيسًا من الكشري فقابلها شاب في بداية العشرينيات سمين طويل. بكل قسوة اعتدى على حيائها متحرشًا بها.

لم تروِ هي حينها ما حدث لمخلوق على وجه الأرض بل اكتفت بالصمت لتبقى هذه علامة من العلامات الكثيرة السوداء

التي تعتلي روح نور، تعكر صفاؤها.

دخلت والدتها الغرفة تمد يدها ليد نور لكنها شاردة فوضعت والدتها يدها على عين نور ذهابًا وإيابًا لتستعيد تركيزها فاعتذرت وأخذت الكوب طلبت منها أن تنام فقط ساعتين حتى تسهر معها طيلة الليل لمشاهدة مسلسلهم التركي المفضل فاليوم الخميس تعاد حلقات الأسبوع بالكامل.

استيقظت نور بتمام الساعة العاشرة والنصف مساءً كي تشاهد مسلسل فاطمة فهي تعشق المسلسلات التركية وبجوارها والداها تتناول طبقًا كبيرًا من الفشار وبيدها الأخرى زجاجة مياه غازية كبيرة والدتها تتفاعل مع الأحداث مرة تبكي ومرات تبتسم وكأنها تعيش في المسلسل ووالدها يهز قدمه بشدة فهو لا يحب مثل هذه السهرات حاول أن يتكيف مع الأمر لكنه فشل بجدارة فأغلق التلفاز فجأة فسألته نور بإلحاح:

- لمَ يا أبي؟ أحب كريم أقصد فاطمة فاطمة

قهقهات متوالية منها ووالدتها، فعقد خالد حاجبيه فهو لا يحب مثل هذه التصرفات كفى أنه تركها طيلة ٢٤ عامًا دون أن تضع حجابًا على رأسها سوى مرات قليلة. تضع مساحيق التجميل وتخرج بكامل زينتها. ذهبت لغرفتها وفتحت المبرد وأخرجت ثلاثة من الآيس كريم ووقفت بجوار والدها وهي تقف على أطرافها كي تطول وجهه قبلت جبينه ثم أشارت بإبهامها نحو ثغرها كي يقبلها فوافق على مضض. أعطته الآيس كريم ووالدتها تقف واضعة

يدها حول خصرها.

- أين أنا من هذا الحب يا حبيبة أبيكِ؟

فأعطتها الآيس كريم، عادت لتجلس على قدم والدها تختبئ بأحضانه وتستمع لدقاته وصوته وهي بالقرب من قلبه وهي بين يديه حين كان يتحدث مع رويدا عن أمور عائلية ويخططان معًا لقضاء إجازة الصيف بجزر المالديف هذه السنة فقفزت نور لأعلى وضمت يديها لقلبها تنهدت قائلة:

- جزر المالديف يااا لروعة الاختيار.

كان يعلم أنها شغوفٌ أن تذهب إلى المكان، دخلت نور غرفتها لتترك والديها معًا لن تريد أن تقف عائقا أمام سعادتهما وحريتهما.

فتحت الحاسوب فوجدت رسالة من ميرا تسأل عنها أين كانت مختفية؟

تبسمت وكتبت لها:

- مرمورتي الجميلة أنا بخير يا قلبي ماذا عنك؟

تغيرت ملامحها وانكمشت جبهتا ثم كتبت:

- لست بخير كيلر مريض تعلمين كم أحبه!

لامتها على اقتنائها لكلب كعادتها والأخرى تدافع عنه باستماتة تراه مصدر حماية، وَفيٌّ، صديق وكالعادة تم تغيير الموضوع بلحظة روت لها نور عن كريم وعلاقته بهاجر فلاحظت

ميرا ملامح تشبه الغيرة بحديثها لكنها لم تظهر ذلك فأغلقت ميرا الإيميل كي تأخذ قسطًا من الراحة.

جاء دور كريم الساعة الآن الثانية صباحًا ترددت تحادثه أم لا ثم كتبت صباح / مساء الخير ووضعت ملصقًا خجولًا.

*****

اختفاء:

في لحظة قد يختفي من يعطيك أملًا بالحياة فتبحث عنه كالمجذوم لا تفكر بتصرفاتك تتصرف دون وعي على أمل أن تجده وبعد ذلك تكتشف أنك جنيت على حالك بما فعلت.

الفصل السادس

فأجاب في الحال وكأنه ينتظر أن تلمس أصابعها لوحة المفاتيح لتكتب له، ابتسم قليلًا وأجاب:

- صباح / مساء الشاي بالنعناع

سألته عن أخباره فتحدث بكل حسرة عن حزنه وحياته التي باتت باردة لم ينزل من المنزل إلا قليلًا جدًّا، والده الذي يراه ما زال لديه ١٥ عامًا يعامله كمراهق يراقبه ويضربه بعض الأحيان ووالدته التي أصبحت كآلة متحركة تنفذ طلبات والده دون أدنى تفكير يراها كإنسان آلي يتحرك بريموت كنترول فهو يضربها إن لم تستجب لطلباته، صمت قليلًا فلولا ما يمر به لما اعترف لها بهذه التفاصيل الخاصة بحياته الشخصية

فتنحنحت نور وهي تحاول أن تخفف عنه

- ماذا عن هاجر؟

لمح الاهتمام بحديثها فابتسم بدهاء وثقة، طلب منها هدنة ليعود لرشده ثم يروي لها كل شيء بصدق، أغلقت وكاد الفضول يقتلها لمَ لم يخبرها بشيء عن هاجر؟

*****

في يوم الأحد لن تأتي ميرا للعمل بحجة مرضها مكثت نور وحيدة طوال اليوم لم تأكل شيئًا أبدًا حتى قهوتها تنازلت عنها هذا اليوم شعرت أن ملابسها غير مفرودة من الداخل فدخلت مكتب والدها كانت تعلم أنه باجتماع مع أحد العملاء وقامت بفرد ملابسها فدورة المياه كانت مشغولة وهنا رأته يترقبها وهو يلف لسانه حول شفتاه شفتيه وينظر لها بشهوة فاستشعرت بالخوف فأخرجت هاتفها وتظاهرت بالحديث مع والدها:

- أنا بالمكتب أبي وهو ينظر إلي. لن تتركه بهذه الشركة ساعة واحدة.

ففتح باب المكتب، دخل مسرعًا انحنى أمامها كاد يبكي يتوسل إليها كي تقنع والدها أن يتراجع عن إقالته فأخبرته أنها لن تخبر والدها بشيء وأقسمت إذا فعل أي شيء مرة أخرى فسيقال على الفور كانت تحدثه وجسدها يرجف خوفًا تنظر لجسدها ببغض شديد كأنها تكرهه وتخشى من تناسقه لتقع فريسة بيد من لا يرحم فما أصعب أن تكره المرأة جمالها، وما أسعدها حين تتمايل بخصرها على أنغام عاشق يكسبها ثقة بحالها وحبًا للحياة، أما نور فلم تجد أي شيء مما سبق.

*****

دق هاتف نور إنه كريم فتبسمت ولسان حالها يقول: كريم الغامض بسلامته يطمئن على حالي

وبعد أن أغلقت الخط تذكرت شكواه من جلسته أمام الحاسوب طيلة الوقت و الملل، الفراغ الذي أصابه بعد وفاة صديقه فقررت أن تساعده بطريقة مختلفة فطلبت من والدها أن يعلن عن رغبته بشباب تعمل بقسم الحسابات لقلة العمالة. وبعد ثلاثة أيام اقتنت جريدة الأخبار وخبر عن شركة مندور تطلب شبابا بقسم الحسابات لا يشترط الخبرة فأخرجت هاتفها من حقيبتها السمراء المزينة برسمة كارتونية وأخذت صورة من الإعلان أرسلتها لكريم برسالة نصية لكنه لم يجب فاتصلت به مرات ومرات لم يجب اختفى كريم فجأة دون مقدمات لم تسأله عن محل إقامته الحالي ثلاثة أيام على هذا الحال وكل من يتصل بخصوص الإعلان تؤجل مقابلته للأسبوع التالي.

أيام رتيبة مرت على نور خشية من حدوث مكروه لكريم تذكرت الميدان هل ذهب لهناك أصابه مكروه لكنه أقسم لها وعليها أنهما لن يعودا لهناك وهي وعدته بذلك فقررت أن تبحث عن هاجر بقائمة أصدقاء كريم أرسلت لها بلا تردد

- مساء النور أنا نور صديقة كريم تتذكريني؟ تحدثنا من قبل حين أجبت على هاتف كريم.

وبعد مرور ٤٥ دقيقة أجابت هاجر بجمود كادت تحطم لوحة المفاتيح من شدة العصبية، وحدثت نور بغطرسة:

- نعم تذكرتك، لا تخافي بالتأكيد عاقبه والده، أخذ منه الهاتف واللاب توب ألم يخبرك صديقك المقرب أنه ما زال طفلًا صغيرًا يُعاقب من والده؟!

رفعت نور حاجبيها لأعلى ولم تجب على حديثها وكأنها لم ترَ الرد اقتربت من أن تصدق كريم حين قال إنها لا تحبه كيف لامرأة أن تتحدث عن حبيبها بهذه اللهجة؟!! وحتى إن كان هناك خلاف بينهما لا بد ألا تقلل من شأنه وتحفظ هيبته أمام الجميع.

حاولت أن تتعايش وحيدة تقتصر حياتها على والدتها وميرا بعالم مغلق هي وحيدة رغم حشد الناس حولها لكنها تتألم بصمت في محاولة فاشلة أن تخفي خوفها من كل شيء على وجه الأرض وبعد مرور يومين دق هاتفها المتصل هو كريم يسألها عن فرصة العمل هل ما زالت متاحة كم يود أن يستقل عن والده كي يطلق له حرية كل شيء.

ابتسمت نور وارتسمت على وجهها عبارات توحي بعودة الأمل لحياة مختلفة يملؤها الحب فهي لا تقوى على العيش بلا اهتمام، الحياة بلا مشاعر كنفق مظلم تسير به وحدك تتمنى أن ينقضي، كريم بمثابة طوق نجاة تتعلق به كي لا تغرق بدوامة الحياة.

أجابت وهي تبتسم لتظهر غمازات وجهها التي تميزها عن كثير من الفتيات:

- فرصة العمل متاحة والمقابلة يوم الأربعاء إن شاء الله.

كريم يقف أمام التلفاز يصرخ بوجه والده لأول مرة فهو يتحدث منذ ربع الساعة لكن والده غير مهتم وقف بقميصه الأزرق وبنطاله الأبيض:

- أرجوك أبي أعطني اهتمامًا أنا أتحدث لست تمثالًا لمَ تكرهني؟ لمَ أشعر أنني غير مرغوب للعيش معك؟ لم أشعر بشيء سوى تجاهل، قهر، ذل.

فأجاب والده بعين دامعة وصوت جهْوريّ:

- اسأل والدتك.

آلاف التساؤلات مرت بذهن كريم متعجبًا من حال والدته التي دخلت غرفتها وأغرقت يديها من الدمع، خرجت بعد أن قضت على الأخضر واليابس مما تبقى من كرامتها وطلبت من كريم أن تتحدث معه بعض دقائق.........

*****

اليأس: قد تصل لدرجة من التحمل ترفض المكوث بهذه الحالة فتتمرد وتتحرك بمكانك دون أن يراك أحد، بداخلك صراع وهم لا يعلمون.

قد تعطيك الحياة فرصة واحدة لاستعادة ما خسرته فتدير ظهرك رافضًا أن تستغلها تتحطم تتكسر تفقد الأمل لن تجد سوى الانتظار الرتيب الذي ينهش روحك.

الفصل السابع

في يوم الأربعاء دق المنبه الأحمر بجوار مضجع كريم بتمام الساعة السابعة صباحًا نظر لبدلته السوداء وعقد يديه مع ابتسامة مشرقة، إقبال على الحياة وحزن دفين على ما قالته له والدته مشفق هو عليها وعلى حاله ليته ما تحدث أو اعترض على التجاهل فالأمر أكبر مما كان يظن لست مجرد أب قاسٍ يفرض شخصيته على ابنه، تناسى كل شيء فاليوم لديه فرصة أن يعمل ومع من؟ مع نور التي يرى بصيص أمل أن تكون هي طوق النجاة له مما يمر به كما تراه هي تماما، توجه لدورة المياه غسل وجهه وأسنانه وعاد ليبدل ملابسه. خرج من المنزل وهو بكامل أناقته.

أما نور فما زالت تقف أمام خزانة الملابس تلقي كل ما أمامها على السرير رافضة ملابسها كافة كجميع الفتيات رغم امتلاء خزانتهن بالملابس يرينها فارغة. وبعد أن تأففت قررت أن ترتدي بنطالًا أزرق جينز وتي شيرت أبيض مزينا بقلب مكسور مرسوم باللون الأحمر. وقفت أمام المرآة وجربت جميع ألوان الشفاه لكنها استقرت على اللون الأحمر. رسمت عينيها بحنكة وزينت رأسها بطوق أحمر ألقت شعرها حوله وخرجت متجهة إلى الشركة، والدها يقف أمام السيارة يضع قدمه فوق الأخرى وبإعجاب وتعجب: نور الجميلة عادت للحياة وارتدت الأحمر.

ابتسمت فخرًا وأعطته يدها كي يساعدها بركوب السيارة ففتح الباب وانحنى بعض الشيء

- تفضلي أميرتي الجميلة.

جلست بمكتبها تستقبل المتقدمين للوظيفة وهي تتحدث معهم برتابة معلقة عينها على الباب بانتظار كريم الذي تأخر قليلًا، جاءت ميرا بضحكة خبيثة:

- ها هي صديقتي البريئة تضع الخطط دون علمي.

نور بتعجب وشرود

- ماذا تقصدين؟

برفع جاجبها

- كريم بالخارج يطلب أن يقابل نور هانم مندور

حاولت نور أن تخفي ابتسامتها ولمت خصلات شعرها الساقطة على ثغرها ووضعت يدها فوق حاجب صديقتها وبمزاح

- أنزلي حاجبيك سيصلان إلى رأسك

- اغربي عن وجهي في الحال فأنا بانتظار ضيف

ميرا بسعادة:

- أكثر الله من ضيوفك أ. نور

خرجت ميرا من المكتب تتظاهر بالجدية تخبر كريم أن نور

بانتظاره دخل كريم فبدا على نور إعجاب شديد بهيئته دون أن يتحدث سقطت عيناها على قميصه الأبيض المفتوح وبعض الشعرات الخفيفة التي تظهر من صدره لكن الخجل منعها من مجرد التفكير بإعجابها بجسده. صمت طويل ونظرات مد كريم يده لنور ثم تحدث بجدية

- هيا ندخل مكتب والدك معًا أخشى أن يرفضني

نور بخفة ظل

- معك أ. نور مسؤولة العلاقات العامة، من فضلك املأ هذه الاستمارة.

اختفى خوفه بعض الشيء وتعجب من حديثها كإنسان آلي وكأنها تحفظ الكلمات لترددها كالببغاء، أجاب بنفس الطريقة بعد أن ملأ الاستمارة

- تفضلي أ. نور أرجو أن أحظى بالقبول

استأذنها بالرحيل لكنها أقسمت عليه أن يفطر معها ويشرب مياه غازية تعلم مدى عشقه لها وفي هذه اللحظة دخل والدها فوجدها تجلس مع كريم مبتسمة فأدرك سبب اهتمامها الزائد وابتسامتها المشرقة وتمنى من الله أن يعوض ابنته عن كسر روحها من علاقة أنهكت روحها وانقضت بجرح قاطع بالمشاعر

- سلام عليكم نور أرجوكِ اطلبي لي قهوة وأحضري لي دفتر المصاريف.

نور بسلاسة:

- حاضر حاضر أ. خالد

أمسكت وجه والدها برفق وجعلت عينه تنظر صوب كريم قائلة

- ألم تتذكر هذا الوجه؟

خالد يسترجع ذاكرته متذكرًا حين رأى كريم مع نور على شاشة التلفاز بميدان التحرير

وقبل أن يتحدث خالد قدم كريم نفسه:

- كريم الحلواني صديق نور.

بادله السلام وبعد حديث استمر لدقائق اختفت ابتسامته بعض الشيء وألقى السلام عليه متجهًا لغرفته يضع يده فوق شعره الغزير يتعجب من ضيق الحياة، كريم عاد من جديد ليعمل معهم لكن هل سيقف الماضي حيال ابتسامة نور وكريم أم سيكون للنصيب رأي آخر؟

تريث بعض الشيء وابتسم حين تذكر أن نور أخبرته أنه مجرد صديق، لكنها افتعلت احتياجها لموظفين كي تساعده.

قطع تفكيره دخول ميرا بالملفات سألها عن نور فأخذته للباب كي يراقب ابتسامة نور ها هي نور تبتسم وترتدي ملابس مبهجة كانت فرحة ميرا تفوق الحد لكنها تشعر بالخوف فهي تعلم أنه لم يدق الحب باب نور بعد وفاة ياسر فكريم هو مجرد محاولة

للحياة ومع أول كلمة مشتركة ينطقها كريم كانت تسمعها منه ستختفي هذه الابتسامة وتعود من جديد لظلمة قلبها وتعيش على ذكراه

ضحك خالد وتحدث بخيبة أمل

- سيفسد ياسر كل شيء بما وضعه بقلبها

أقسمت له ميرا أنها كانت تفكر بنفس الشيء منذ لحظات

*****

وفي المساء تجلس نور على طاولة العشاء تأكل رقائق البطاطس وشرائح الدجاج تروي تفاصيل اليوم لوالدتها، كريم وتقدمه للعمل بمحض الصدفة فتجاهل والدها كذبها فوجهت نظرها لوالدها وبيدها شريحة من الخيار

- أبي من سنختار لشغل الوظيفة؟ تقدم خمسة وعشرون شابًّا

أخبرها أنه لم يتدخل باختيارها لفريق عملها منذ بداية عملها بالشركة لكنه تحدث بدهاء

- من الممكن أن نقبل شابا يدعي كريم مثلًا؟

ضحكات متوالية من والديها عبست فتراجع والدها وأخبرها أنه يمزح كي لا يرى نحيبا لم يشهده وطلب منها ألا تكذب ثانية،

أعطاها الإذن أن يعمل كريم معهم بالشركة، شعرت بالخجل حيال والدها الذي علم بكذبتها لكن قطع تأنيب ضميرها هاتفها إنها ميرا تخبرها بمدى جمالها اليوم وجمال ابتسامتها وإطلالتها المشرقة فهي تعلم ما تقصده صديقتها فتحدثت بجدية وثقة

- كريم مجرد صديق طوق نجاة أعبر به من هذه الحالة أظن أنك آخر من يفكر بما يدور برأسك

ميرا بشغف: ولمَ لا؟ كريم شاب وسيم كما كنتِ تتمنين.

ضحكت نور :

- كريم مرتبط عاطفيا وأظن أنكِ تعلمين جيدًا أن قلبي دُفن يا ميرا دُفن مع من.........

صرخت ميرا بوجهها تترجاها أن تحاول نسيان الماضي فصمتت متذكرة أول من تحركت مشاعرها تجاهه، فياسر كان الكون كانت تبحث عن الحب بحروف اسمه وحين أوشكت على التأقلم مع جمود مشاعره والرضا بمعاملة لا تناسب صديقة لسيت حبيبة طلب منها أن ترحل ولمَ ترحل؟ هي أحق أن تعيش معه أيامه الباقية لكن قسوته منعته أن يسمح لها بذلك، بعد أن صرخت عشرات الصرخات وكتمت صوتها بوسادة كبيرة دلفت لتغسل وجهها لتخرج من غرفتها مدعية السعادة تدق باب والديها خبطات متوالية تشبه الموسيقى تطلب من والدها أن تذهب إلى النيل معه فوافق على مضض. وعد والدتها أنه سيحضر لها آيس كريم نزل مع نور كصديقة تاركًا مشاعر الأبوة جانبًا وقفت أمام

النيل شاردة يعلم والدها أنها تريد أن تتحدث بأمر هام ما دامت طلبت أن تأتي إلى هنا، لكنه لم يبدأ بالحديث بدأت نور الحديث

- خالد أنا قررت أن أتجاهل الماضي وأعيش ما تبقى كأي فتاة بعمري، هذا ما تتمناه أليس كذلك؟

هز رأسه بالإيجاب

فأكملت: ساعدني لأخرجه من قلبي وعقلي وأمحو آثار الجرح الممدود الذي تركه بداخلي، ساعدني أن أتعايش مع الناس أكوِّن صداقات أحب أتزوج أرغب بطفل جميل يناديني ماما

نظر لها والدها بشفقة ولم يتحدث فقد شعر أنه لا بد أن يترك لها مساحة أن تقول كل ما يجول بخاطرها يعلم أن كلماته لا تطفئ بركان الألم بداخلها تسبب ياسر لها بألم نفسي يصعب على أي شخص تحمله، تعيش مع الذكريات فماذا لو علمت بالحقيقة التي يخفيها كل من ميرا ووالدها ستكرهه، تتقبل موته أم سيزداد ألمها؟

*****

الأمل:

من رحم الألم يولد الأمل فلولا حسن الظن بالله لماتت آلاف القلوب، اليقين هو ما يعطينا ثقة بأنفسنا لنتحمل ونسير بطريقنا من جديد، نغلق صفحات الماضي ونلملم ما تبقّى بداخلنا.

الفصل الثامن

أخبرها والدها أنه يرى طيف إعجاب منها بكريم فأجابت بكل وضوح:

- كريم مرتبط بصديقته وهي تحبه لا تقلق ليس كريم هو من جعلني أفكر بنفسي أنا أحتاج بعض الدفء العاطفي أبي.

قالتها باحتياج فاق الألم والدمع يقف في مقلتها يأبى السقوط فهي لم تحظَ بإعجاب أي شاب من قبل رغم أنها جميلة.

تنهدت وسألته:

- أتراني مقبولة الملامح؟ تحدث بصراحة لن أغضب!

- مقبولة الملامح ألا تتزوجينني يا جميلة الجميلات! كفاكِ تواضعًا تكفي ابتسامتك التي تضيء وجهك وغمازتك التي تأخذني من الدنيا يا أميرتي.

تنهدت فهي ترى أنه يجاملها، كل من قابلتهم كانوا سببًا في كسرها وهدم ثقتها بنفسها جميعهم ضعفاء لم يقووا على تحمل جمال طباعها يكرهون كونها الأجمل الأحق بالاهتمام فقرروا هدمها قبل أن ترى مكانتها ظنا منهم أنها ستتكبر لكنها كانت ترغب بمن يجبُرها بكلمة تروي عطشها للحب وبعد صمت طويل

قالت:

- حين رآني كريم بالميدان اهتم بوجودي وحين توفي صديقه أقسم علي ألا أتحدث عن الثورة أو أذهب إلى هناك ووعدته بذلك حين جاء الشركة رأيتَ أنت مدى اهتمامه فكيف لا أنجذب إليه كصديق ليس أكثر لكنه أعطاني بصيص أمل أنني أنثى أستحق الحب ظننته مهتمًّا بي حتى ظهرت هاجر حينها شعرت بخيبة أمل.

اطمأن والدها عليها بعض الشيء تأكدَ أنها ستخرج من عالمها المغلق، عاد معها للمنزل بعد أن ابتاع الآيس كريم وهما يستمعان لعمرو دياب وأغنية «رصيف نمرة خمسة» وهي تُدندن مع الأغنية.

*****

هاجر غاضبة للغاية من تصرفات كريم الذي تجاهلها منذ فترة فقررت أن تجذب انتباهه برسالة أثارت فضوله ليرد عليها، (ألم تخبرك نور بحديثها معي؟).

فتحدث بلهفة، خوف:

- هل سألتك عني؟

ظهرت على وجهه علامات التعجب كيف وصلت نور لهاجر ولم يستغرق تفكيره لحظات.

استكملت هاجر حديثها:

- سألتني عنك، كانت قلقة عليك

فابتسم ولكن حين أخبرته أنها قالت لنور بأنه تشاجر مع والده أغلق فمه ونظر للأرض منكسرًا

تحدث مع هاجر عن عمله بشركة مندور وشعوره بالسعادة من مقابلة نور ووالدها فازدادت ظنونها بانجذابه لنور لكنها كذبت حالها، استغلت حديثه عن عمله كي تفتح مرة أخرى موضوع الخطوبة فهو الآن لديه وظيفة لكن هل يكفي ألف وخمسمئة جنيه لفتح منزل؟ لا بالطبع أيضا هو يرى سيف بينهما.

قررت هاجر الانسحاب من حياته بعض الشيء كي يشعر بقيمتها لكنها لم تخبره بذلك تحدثت وكأنها راضية تمامًا عما قاله، أغلق معها الخط وجلس على سريره واضعًا يده وراء رأسه وقدمه فوق الأخرى، سعيد هو باهتمام نور به فهي تريد مساعدته دون مقابل.

لم يسمح له والده بمجرد التفكير بشيء فدخل غرفته يسأله عن طبيعة عمله لكن بجمود وعبوس وحين شعر بجديته ربت على كتفه وطلب منه أن يستمر ويعمل ليصبح رجلًا يعتمد عليه. رأى بعين والده نظرة رضا لم يرها منذ فترة كبيرة فوضع رأسه على الوسادة وغفا حتى الصباح ثم أحضر نفسه بسرعة متجهًا لعمله بحماس فائق، نور خرجت من العمارة بصحبة والدها تشعر بالرضا بعض الشيء بعد أن أخرجت ما بقلبها فاليوم أيضًا نور

مختلفة عن كل يوم، ليست بهيئتها بل بإقبالها على الحياة ترتدي نظارة شمس مفعمة بطاقة كبيرة شغوف للعمل، للحياة، عاقدة أملها أن تقوى على التعايش من دون ياسر وبلا ضغوط، تقابلت عند باب الشركة مع ميرا فأمسكتا يدي بعضهما البعض كطفلتين، جلست نور على مكتبها لملمت الأوراق وضعتها جانبًا وبابتسامة

- ميرا ممكن أن نتناول الإفطار معًا؟

اعتذرت لها عن الإفطار لكنها طلبت أن تشرب قهوة وبهذه اللحظة دخل كريم ليسجل حضوره بعد أن تبادلا السلام وعرفته بميرا كصديقة ليست كسكرتيرة خاصة بوالدها طلبت منه أن يفطر معهما فوافق بشرط أن يعزمهما

ميرا بضحكة لذيذة: بهذه الحالة سأفطر معكما

نظرت نور لها نظرة عتاب علمت أنها تحتاج إلى المال ولم تخبرها

فتاة تعيش وحيدة بعد وفاة والديها تتحمل مسؤولية لم يتحملها بعض الرجال لكنها تمتلك عزة نفس تفوق الحدود لم تطلب يومًا من نور أن تقرضها جنيهًا واحدًا.

دخل أ.سيد فوجدهم يتناولون الإفطار، فتحدث بسخرية

- أ. نور هل يعلم والدك أنك تأكلين كشري مع أصدقائك؟

نور بنفاد صبر

- زملاء عمل! هم أصدقائي خارج العمل.. هذا أولًا!

أما ثانيًا أ. خالد سمح لي، فلن أنتظر من شبه رجل مثلك أن يُلقنني درسًا، تفضل إلى مكتبك

رأى كريم الدم يجري بعروقها وملامحها عابسة فقال

- سيبرد الطعام هيا لنأكل

أكلت نور بسرعة وعصبية فائقة لم يتحدث كريم بهذا الوقت فهو لم يعرفها بالقدر الكافي ليتوقع ردة فعلها، لملمت نور وميرا آثار الجريمة (الكشري) وهدّأت ميرا نور وبدأت تلطف الحديث بحديثها عن خصوم الملابس التي تنتظرها بفارغ الصبر واتفقتا أن يذهبا معًا أخرجت من حقيبتها مكياجًا جديدًا أبهر نور حين رأته فأخذته وتوجهت للمرحاض كطفلة سرقت دميتها التي أخفتها عنها والدتها، قاطعها صوت والدها

- نور أين أنتِ؟

خرجت بسرعة

- كنت بالمرحاض.

طلب منها أن تلحقه بمكتبه ومعها ميرا فأدركت أن هناك مصيبة بانتظارهما وضع أمامها الأوراق وهي بحالة ذهول متعجبة مما تراه، فصمتت تمامًا تُحدث حالها وهي متأكدة من استحالة خيانة ميرا لها ولشركة والدها سألها والدها عن تفسير واضح كيف وصلت هذه الأوراق ليد خصمه وائل سمرة.

أومأت بوجهها يمينًا ويسارًا بإشارة «لا» صمتت تمامًا، خرجت من غرفته جلست أمام المكتب وضعت يدها فوق جبهتها ولملمت خصلات شعرها وهي تزفر، تفكر ماذا تفعل ميرا متعجبة من حال صديقتها الذي تبدل فجأة بعد أن خرجت من مكتب والدها فسألتها بصوت خافت وعيون مترقبة

- ماذا بكِ يا نور؟

أجابتها بنفاد صبر

- هيا ميرا نخرج من هنا أريدك بأمر مهم

*****

الثقة:

قد نثق بمن لا يستحق الثقة، تضع أصابع اتهامك بأعين بريئة مما ظننت به، جميعنا مخطئون لا نستثن أحدًا.

الفصل التاسع

أخذتها من يدها جلستا معًا، تحدثت نور بنبرة حادة عما رأته لم تسمح لنفسها أن تشك بميرا فمن يعرف ميرا جيدًا يتأكد من إخلاصها وسلامها الداخلي، سألتها:

- متى تركتِ الإيميل مفتوحًا؟

تغيرت ملامح ميرا

- كثيرًا لا أغلقه سوى آخر اليوم

نور بحسرة: ضاعت الصفقة بسبب إهمالك، إيميل وصل منك لشركة وائل سمرة بالمناقصة وتفاصيل أسعارنا ولا أعرف كيف وصلت هذه الأوراق.

وضعت ميرا يدها على فمها: ضاع كل شيء بالتأكيد سينقطع مصدر رزقي

وبدا عليها الانهيار أمسكت نور بيدها لم أشك بك أعرف كم أنتِ حساسة فقط نفكر معًا من له مصلحة في ذلك، كيف نثبت الحقيقة فمن يؤذيني فيك لا يستحق أن يأكل رزقًا من مال والدي وهذا يريد أن يقضي علينا جميعًا لست أنت فقط، صفقة بأربعة ملايين ضاعت وضاعت عليك نسبتك بها، لم تجب ميرا وكأن أذنها من حديد عادت لمكتبها وهي تتخبط بكل من تراه فهي تشعر بالضياع قد تفقد مصدر رزقها الوحيد، جلست على مكتبها

وكتبت استقالتها متوجهة بغضب لغرفة خالد وبحزن قالت:

-تعلم أني لن أفعلها ولولا احتياجي للعمل لرحلت على الفور لن أحادثك كمديري الآن أنت عمي تعلم مكانتك لدي دخلت بيتكم وأكلنا معًا عيشًا وملحًا تخلى الجميع عني لم يبقَ سواكم أرجوك اقبل استقالتي حتى تظهر براءتي وإن لم تظهر سأنسحب من حياتكم تمامًا ومن الشركة.

في هذه اللحظة فتحت نور باب الغرفة وهي تصرخ بوجهها:

- كنت متأكدة أنك ستفعلين ذلك أنت غبية بدلًا من إثبات براءتك ستهربين بعيدًا؟!

ضرب خالد بيده على المكتب:

ليست آخر صفقة، لمَ أنتما منهارتان؟! فالحياة مكسب وخسارة

خبط على رأسه وكأنه يتذكر: لكن كنت أخفي عليكما أنني أضع كاميرات بالشركة لمراقبة الجميع حتى أنتما. لاجت عين نور هل رأى سيد وهو ينظر إليها حين صفعته؟ حك ذقنه وطلب من ميرا أن تذهب لمكتب كريم ليأتي فورًا فهل شك بكريم؟

*****

نور غاضبة شاردة، خالد يستشيط غضبًا فكلف كريم بفحص الكاميرات لكي يتأكد مما يشك به، أما نور فهي متأكدة ممن فعل ذلك لن يكرهها بالشركة سواه لكنها تنتظر ظهور الحقيقة لتتحدث بكل ثقة وتضع أصابع اتهامها بعينه، سأله كريم والابتسامة ترتسم على وجهه

- لماذا كلفتني بهذه المهمة ولم تكلف أحدا أفراد الأمن أو ميرا أو نور أو أي شخص آخر؟

أجاب خالد وهو يضبط نظارته السوداء بثقة

- أولًا لا يعرف أحد بوجود كاميرات بالشركة

ثانيًا لأنك جديد بالعمل فلن تنحاز لأحد ستخبرني بالحقيقة كاملة دون خوف على علاقتك بأحد.

وافق كريم وبعد انقضاء ساعات العمل جلس مع نور ليتفحصا الكاميرات بإحدى الكافتيرات المجاورة للعمل. ميرا تقضم أظافرها خوفًا وترقبًا ونور بقمة تركيزها وتوترها حتى اعتدلت بجلستها أكثر من مرة بدأ يراقب تصوير الكاميرا فرأى سيد حين اقترب من وجه نور لمح الذعر بملامحها فنظر لها تظاهرت بالنظر لميرا وتحدثت وقلبها يدق كعقارب الساعة مع ميرا تسألها بمن تشك؟ فأجابتها لا أعلم؟ وبعد مرور ساعات قرر كريم أن يأخذ نور لمنزلها ويعود بالتسجيلات لمنزله لقد تأخر الوقت حاولت أن تمنعه وتظل بجواره لكنه رفض.

أخذت ميرا بالتاكسي متجهة للمنزل فهي لن تتركها تنام وحيدة أو تعود لمنزلها تخشى ألا تعود للشركة فنور تخشى من الفراق لو بيدها لأمسكت بكل من تحب بخيط حديدي وكبلتهم بقلبها كي لا يفترقوا عنها

*****

عاد كريم للمنزل، جلس أمام الحاسوب لم يبدل ملابسه فقط انتزع حذاءه وفك أزرار قميصه الأسود يترقب ما يحدث ولم تخفَ عن عينه مضايقة سيد لنور. دخل والده الغرفة فوجده يراقب الكاميرات سأله ماذا يفعل ولأول مرة يتحدث معه بحكمة ويشجعه على عمله النبيل وبحثه عن الحقيقة حتى طلب من كريم أن ينام بعض الوقت ويراقب هو الحاسوب، قبَّل رأسه، لم يعلم أن والده ينتظر له خطأ ليصدق ما يجول بخاطره ظن أنه سيرى بالتسجيلات ما يؤكد شكوكه لكن كريم كان حريصًا كل الحرص ونظر للتسجيل وصل للساعة الثالثة يوم الحادي والعشرين من شهر مايو نام من شدة التعب ساعتين واستيقظ ليستكمل فلم يجد والده أمام الحاسوب ودخل دورة المياه ليتوضأ لصلاة الفجر وجد والده يجلس أمام التلفاز وبجمود

- تتحجج بالعمل لتراقب سيدة القصر نور مندور وهي تعمل لا تكذب مرة أخرى

لم يرد كريم فقط اكتفى بأخذ نفس عميق وعلامات الحسرة ظهرت على قلبه الباهت فماذا يفعل ليرضي هذا الرجل يعلم أن

طاعة والده من طاعة الله لكن حقا أنهكته ظنونه فهو يشك بكل شيء أيكرهه والده؟ استحالة أن يكره المرء ولده مهما حدث بينهما عاد ليراجع تسجيل الكاميرا حيث توقف وبعد دقائق من الترقب رأى شابًّا وسيمًا يتلفت يمينًا ويسارًا، يجلس على مكتب ميرا طبع ثلاث ورقات وأخذها مسرعًا لخارج المكتب.

بسرعة أخذ صورة من المشهد وأرسلها لنور التي لم تتذوق طعم النوم تلك الليلة .

*****

نور تجلس على حافة الفراش وبجوارها ميرا الغارقة بالنوم فهي قليلًا ما تنام لعدم شعورها بالأمان تعيش وحيدة بشقتها تخشى حتى إن سمعت هرة تعبث بكيس قمامة ونور تتصفح الفيس بوك تعبث بشعرها تداري قدمها من صقيع المكيف وفجأة أتت رسالة كريم فاعتدلت في جلستها ورأته.. لم تتوقع للحظة فهذا موظف أمين طيب لم يفتعل مشكلة واحدة منذ أن تم تعيينه. ألحق كريم بالصورة رسالة

«أرجوكِ لا تخبري والدك أو ميرا بشيء، فقط أردت أن أطمئنك أنه ليس أ. سيد».

فتحت نور فمها، كيف فهم كريم ما يدور برأسها؟ فهي بالفعل تشك بسيد بل كانت متأكدة أنه هو من فعلها لم ترد على رسالته سوى بكلمتين «حاضر شكرًا لك».

غفت ساعات قليلة وفي الصباح دخلت والدتُها الغرفة تشعل المصباح وترفع الستار كي توقظهما، تناولتا معها الإفطار بعد أن ارتدت كل منهما فستانًا أسود بورد أبيض ووضعتا نفس إكسسوارات الشعر وأحمر الشفاه وكأنهما توأمان فالأصدقاء حين تقوى علاقتهم ويمر بهم الزمان يأخذون ملامح بعضهم البعض حتى يظن الناس أنهم لأم واحدة. لا أجد نظرية أو تفسيرًا علميًّا لذلك، فقط نزلتا من المنزل وهما بكامل زينتهما وفي السيارة جلست نور وميرا بالكرسي الخلفي، خالد بترقب:

- هل كريم وصل لشيء؟

ميرا بثقة:

- لو وصل لشيء لتحدث مع نور لكنه لم يفعل.

*****

الوصب: شدة ألم الحب.

فالحب سلاح ذو حدين يغير حياة الإنسان يحزنه ويسعده كما يشاء، فإذا اختفى الحبيب من الوجود تلونت الحياة باللون الأسود القاتم، وتبدلت الأحوال كوردة ذبلت مع موت حبيبها رغم إهماله لها، مجرد وجوده واستنشاقه لعطرها كان يبعث بها أمل الحياة.

الفصل العاشر

بمكتب خالد مندور يجلس كل من ميرا وخالد، ذهبت نور بنفسها لتستدعي كريم ونظرات اللوم متبادلة بينهما، تلومه على صمته حين رأى سيدا يضايقها.. كيف تلومه وهي المذنبة؟ فالخوف المنبثق من عينها يجعلها مطمعًا للجميع ممن تخشى؟ وما نهاية خوفها؟ لو كان الخوف رجلًا لقتلته بالأسلحة كافة لكنه يلازمها كظلها لا تقوى على التخلص منه، وبعد صمت ساد للحظات أخرج كريم فلاشة معدنية ووضعها بيد خالد فنظر خالد لميرا وأشار لنور أن تخرج لكنها رفضت وبشدة.

ميرا بقمة رعبها من تصرف خالد علمت أن الأمر يتعلق بفارس هذا الشاب الذي اقتحم حياتها دق باب قلبها وكان عوضًا لها عن فقد والديها، واجه خالد ميرا بالتسجيلات. كان لا يريد فضح هذا الأمر أمنته ميرا على ما روته له حين ساومها فارس أن تنهي علاقتها به أو بنور لكنها حتما اختارت نور. فارس يكرهها لسبب غامض لكنها لم تتخيل أن يصل الأمر لهذا الحد بينهما. أراد قطع مصدر رزقها وهو يعلم كم هي وحيدة وبحاجة إلى المال، انسحبت نور من الغرفة وخرجت تجلس على مكتبها تضع يدها فوق جبهتها فبالتأكيد هناك أمر خفي وإن أخبرت ميرا خالد به لما أخفت عنها. لا يوجد مبرر واحد لإخفاء هذه الأمور بين صديقتين، شعرت بتلال من الجراح تتدفق بقلبها وها هي تنخدع بميرا، فهي شرخت

حاجز الثقة وعكرت شفافية علاقتهما فأكثر ما يكرهه أي إنسان هو الكذب والخداع فنور أمام ميرا عارية من الكذبات تخبرها بكل شيء دون خجل حتى علاقتها بياسر كاملة تعرفها دون حذف شيء واحد منها.

استدعى خالد فارس، خرج كريم من المكتب فطلب من نور أن يجلس معها فأشارت بيدها موافقة ودون مقدمات وبجدية ونظرة لم ترها من قبل

- إذا شعرتِ بالهواء يضايقك سأكون بجوارك لا تخافي يا نور رأيت الرعب ينبثق من وجهك حين اقترب منك سيد، لا تخافي أنا هنا ووالدك، جميعنا معك ونحبك.

كفكفت دمعتها التي نزلت دون أن تشعر وبحسرة:

- لكنه ليس هنا هو بعالم آخر أشتاق إليه والشوق يهشم ما تبقى من ضلوعي ليتني فقط ألمسه أسمع أنفاسه ليته يغضب وينهرني يأمرني بالرحيل فقط يعود للحظة أضمه لأقوى على تحمل الحياة من بعده.

كريم بفضول:

- من تقصدين؟

نور وشفتاها ترتعدان:

- أقصد ياسر خطيبي وحبيبي منذ عدة سنوات أخذه المرض توفي قبل زفافنا بفترة، تركني بعالم مظلم أبحث عنه بكل كلمة

ينطق بها غيره.

فحين تقع نور بموقف يستحق التفكير لن تفكر إلا باحتياجها لياسر لم تعلم أنه حين كان معها لم تشعر هي بوجوده لكن هذه هي الحياة من يذهب لم يتبق منه سوى مواقفه الجميلة أما قسوته سيئاته نهراته كل ذلك يذهب ويدفن معه!

حاول كريم أن يهدئها فتحدث عن هاجر وروى لها أنه تشاجر معها وأنه يحبها لكنه لا يعلم ما نهاية هذه العلاقة المشوهة ملامحها>

قطع حديثهما خروج الثلاثي ميرا خالد فارس.

بعد أن قدم ميرا وفارس أوراق استقالتهما طلب خالد من نور أن تكتب إعلان عن وظيفة سكرتيرة وفرد أمن وترسله للجريدة.

نظرت لميرا بغضب:

- أنتِ من تريدين الرحيل؟

ميرا بخجل:

- أخفيت عنك أعلم أنني مخطئة لكنه هددني أن يتركني إذا أخبرتك بعلاقتنا

نور بصوت مرتفع:

- ميرا تخشى الفراق لماذا ضعيفة أنتِ مثلي مثلًا؟ حين كنت أخشى أن يتركني ياسر كنت تتهمينني بالضعف والآن بكل ثقة

وجدية تقولين سيتركني؟

خالد بحزم:

- اصمتي يا نور وكفاكِ حديثًا عن هذا الياسر أكره سيرته. انتهى الأمر رحمه الله ورحمك من عذابك لحالك استكملي طريقك ببعض من الأمل.

كان كل هذا أمام كريم المتعجب مما يسمعه. ما سبب كرههم لياسر لمَ كان يهددها بالفراق؟ فمن يترك فتاة كنور جميلة، جذابة، ذات أصل، طيبة؟!

*****

هاجر تتصل بكريم تطلب منه أن تزوره بالعمل لكنه رفض وبشدة فاتفقا على اللقاء في استراحة الغداء وطلبت منه أن ترى نور فوافق فهو رغم إعجابه بها رأى استحالة أن تكون هناك علاقة بينهما بعد ما سمعه عن علاقتها بياسر، يحب هاجر لكنه يرفض ما تفعله كليا فالرجل قادر أن يعشق امرأة، ويحب أخرى، ويتزوج غيرها، يعجب بغيرهن وهكذا.

الرجال يبحثون عن نواقص زوجاتهم وحبيباتهم في الأخريات وحين يجدونها لا يتنازلون عن جُرح الطرف الآخر ونسيان ميزاته مقابل شيء واحد فقده بها.

هاجر ترتدي حجابًا أزرق، وبنطالًا أزرق وبلوزة من اللون البمبي الهادئ خرجت نور مع كريم لاستقبالها.

بعد أن رحبت نور بها اعتذرت وطلبت الإذن من والدها أن تعود للمنزل فلم يوافق يعلم كم هي مجروحة منه، كيف يتحدث بخصوصياتها أمام غريب؟ نعم فكريم ما زال غريبًا عنها تحدث عن ياسر أمامه قسا عليها كثيرًا أمامه كسر والدها حاجز الصمت:

- فعلت ذلك كي تستيقظي من كابوسك ألم تعديني منذ أيام أن تعيشي لنفسك قليلًا؟!

بانكسار ودموع مكتومة :

- لا يا أبي ليس لك حق أن تجرحني بسكين بارد أمامه، حقا قلبي يؤلمني اعتدت الجراح من الجميع لكن أنت لا! أنت جسر الأمان بهذه الحياة صديقي قبل أن تكون والدي.

ضمها معتذرًا، لم يمر الموقف مرور الكرام ظلت تبكي وتبكي ورفضت الطعام لأيام عديدة وبالصدفة ونور تجلس أمام الحاسوب رأت صورة جعلت جسدها يرجف تبكي تصرخ تحطم ما حولها وتقول بصراخ:

- لا لا لا لا لا هذا كذب لن أصدق لا لا.

*****

الخلة: توحيد وضع الحبيب في مكانة لا شريك له فيها.

بعد أن أعطته الأمان تقبلت البعد وهي تعتصر شوقًا انكشفت الأمور وانقلب كل شيء رأسًا على عقب فهل ستخضع وتكره إذا وجدت كرامتك تهان وبك يستهان أم تستمر بقتل كبريائك، ذاتك؟

الفصل الحادي عشر

ميرا بموقف لا تحسد عليه تبكي وتداعب كلبها حزينة من فارس. بعد أن انتهت العلاقة أصر أن يستكمل ظلمه ألا يكف عن انتقامه بتركها. ومع ذلك لم تسمح لخالد برفضه من الشركة كي يظل قريبًا منها. وضعَ الشركة بمشكلة و في ظل شرودها دق جرس الشقة فنظرت من العين السحرية وهي تقدم خطوة وتأخر خطوة رأت رويدا تبكي وتهلل:

- الحقي بنور ستموت من شدة الصدمة عرفت كل شيء.

خبطت ميرا على صدرها وارتدت ملابسها بسرعة وذهبت معها.

*****

نور تصرخ تحطم كل شيء من حولها يحاول والدها أن يهدئ من روعها لكنها لا تسمعه انتقلت لعالم من الأوجاع وبعد دقائق قليلة ومحاولات فاشلة منهم أن تهدأ أشارت لهم بالخروج من الغرفة فامتنعوا هي لم ترهم فقط ترى الصورة التي قلبت موازين عقلها وجعلتها ترجع للوراء نادمة على إخلاصها وسذاجتها ارتمت على فراشها أمسكت قدمها بيدها نامت على الجانب الأيمن واستيقظت بعد عشر ساعات وجدت ميرا تجلس أرضا بجوارها والدها يبكي بجوار الحائط والدتها تبكي حتى انتفخت أعينها

نظرت لهم وهي تحاول أن تنطق فشلت بجدارة تنحنحت كي يظهر صوتها دون جدوى فتحركت من فراشها وأتت بورقة وقلم وكتبت:

- أريد أن أشرب .

وضعت الورقة بيد والدها المتعجب من صمتها

يسألها لمَ لم تتكلمي أنتِ غاضبة مني؟!

أومأت برأسها لا

كتبت:

لا أستطيع التحدث أبي، أنا بخير

ميرا تهمس بجوارها بصوت يكاد يختفي من الخجل تتأسف لها عمّا أخفته عنها بخصوص فارس، تلوم حالها كيف أخفت عنها شيئًا خاصًّا بها لكن كتبت نور عبارة زلزلت كيان ميرا

(أخفي ما تشائين فالآن أنا كصخرة أتوقع أي شيء من أي شخص حتى نفسي تاهت، أنا مغفلة وسأكتشف قريبًا مَن خدعني سواه)

توجست ميرا من كلماتها كيف لو علمت أنهم جميعًا يعلمون بما رأته بل هي خطة مشتركة بينهم؟ حتمًا ستنهار .

ظلت على هذه الحالة أربعة أيام لا تتحدث لا تذهب للعمل

*****

كريم بالشركة يتعجب من غياب كلٍ من نور وميرا أيضا كلما سأل خالد عن نور يجيب فقط تعب بسيط غير مطمئن، هاجر أيضًا اختفت دون مقدمات أتته رسالة هاتفية أن هاتف نور أصبح متاحًا الآن، فاتصل على الفور وتحدث بلهفة

- نور أينَ أنتِ؟

تنحنحت ميرا وبجدية

- أنا ميرا يا كريم نور غير قادرة على....

أخذت نور الهاتف من يدها وحاولت مرارًا ثم حركت شفتيها

- ك ك كريم

ثم بكت بحرقة.

سألها ماذا بها

فكتبت لميرا أن تطلب منه أن يحادثها على الماسنجر، أغلق الاتصال وهو بقمة لهفته وفضوله ماذا أصابها؟

نور typing: أنا كنت ضحية كذبة كبيرة عشت سنوات مقهورة عملت بشركة أبي لأشغل حالي طيلة الوقت بالعمل كي لا أفكر ولمَ أفكر، بمن أفكر لن أصدق مخلوقًا على وجه الأرض يا كريم.

كريم عاقدًا حاجبيه typing: لم أكن أعلم أن مجرد خلاف مع ميرا سيفعل بك كل هذا.

نظرت لميرا بخذلان وعيناها تلومها على ما أخفته عنها واستكملت حديثها مع كريم فهو لم يفهم سببًا واضحًا لهذه الحسرة والحزن بحديثها يحاول أن يعرف والفضول يهيمن عليه.

ما أقسى أن تعيش الفتاة فترة من الألم تنغلق تنفصل عن الحياة تحزن على ما لا يستحق الحزن.

بعد حديثها المبهم مع كريم جلست القرفصاء وطلبت من ميرا كوب ماء دمعت عينها وربتت على كتفها برقة:

-صديقتي سمعت صوتك من جديد

نور بدلال:

- صديقتك التي أخفيتِ عليها أنك على علاقة بمن؟ بفارس؟ ولمَ سيتركك لو أخبرتِني؟

ترددت ميرا ثم قررت أن تخبرها أن وظيفتها كانت من حق فارس لكن والدها فضلها عليه كي تخرج من حالتها النفسية عقب وفاة ياسر لكنها لم تصدق فهذا السبب غير كافٍ ليندس بينهم ويحاول تدمير الشركة.

نور تردد: ياسر ياسر ثم تنهار بلحظة وتحطم كل ما حولها بالغرفة تمزق خصلات شعرها وتلطم وجهها.

دخل والداها لمحاولة تهدئتها وهي بحضن ميرا تبكي وتبكي ثم بعد دقائق نجح الجميع بتهدئتها جميعهم كانوا يعلمون هذا لكن والدها رفض أن يطلب منها العدول عن عشق هذا الندل دون

مبررات فقرر معه أن يفتعل هذه المكيدة فالحقيقة هي (لم يمت ياسرر!!!!!!)

وما رأته نور هي صورة لآسيا وائل سمرة وياسر وخبر تهنئة بخطبتهما يظهر بأبهى صورة يبتسم لم يبتسم بجوار نور بصورة واحدة. بعد أن هدأت طلبت من والدها أن تخرج معه كصديق ليس كأب فحين يتعامل الأب مع ابنته كصديق يحتويها ولن يتركها لتفاهات أصدقاء السوء، أخذها والدها لمطعمها المفضل وطلب لها وجبتها المفضلة (تشيكن بارميچانا) كانت حقا جائعة لم تأكل منذ أيام فقط تحتسي العصائر وقبل أن تأكل طلبت من والدها أن يحكي لها ما حدث تفصيليا:

لمَ تصرف ياسر بهذه القسوة؟ لمَ كذبت أخته؟ هل هو حقا مريض؟ ماذا حدث؟

طلب منها أن تأكل وسيروي كل شيء وهما يحتسيان القهوة.

*****

ميرا تهندم المنزل مع رويدا ابتاعتا ورد الچوري لنور ووضعتاه بغرفتها رويدا سعيدة لنهوض نور من هذا الكابوس حتمًا كانت ستعرف يومًا ما.. تأخر هذا اليوم لكنه يوم استعادة نور للحياة بكامل إرادتها أن تعيش.. ميرا قلقة مما سيقوله خالد لنور هل ستنتهي علاقتها بنور أم تتفهم الموقف؟

*****

الود: الحب الخالص الرقيق

قبل أن تضع قلبك بيد أحدهم كن متأكدًا أنه لن يترك حبك من قبضة يده فما أصعب الخذلان!

الفصل الثاني عشر

كريم يتحدث مع والدته في محاولة لإقناع والده بالعلاج لا بد أن يتعايش مع مرضه ويوافق على العلاج فهو مريض لديه ضلالات سمعية وبصرية يشك بكل شيء كيف يقتنع أن كريم ولده وهو يشك بزوجته إذا تحدثت مع طفل صغير وابتسمت أو إذا تعطرت وتزينت له يبحث بغرفتها عن غريب تنتظره، حين علم بحملها ضربها ضربًا مُبرحًا لظنه أن الولد ليس له هي تعلم طبيعة مرضه منذ خِطبتهما قررت أن تتحمله فهو رغم ما يظهره من قسوة رجل مسكين. أوقاتا يكون حكيمًا، هادئ الطباع وأحيانًا مشتتًا شاردًا كارهًا كل شيء لا يمتلك مثقال ذرة ثقة بحاله.

حين ولدت كريم أخذته دون أن يطلب لمعمل تحاليل وأخذت عينة من دم كريم ودمه لعمل تحليل DNA وقبل أن يذهب معها فتح متصفح جوحل وقرأ مقالًا بموقع (كل يوم معلومة طبية) عن الحمض النووي وكان جزءًا من المقال:

«فمنذ اكتشاف دور الحمض النووي في تقنيات تحديد النسب وذلك اعتمادا على قاعدة بسيطة تقول: كل طفل لديه ٤٦ كروموسوم، ٢٣ من الأب، و٢٣ من الأم؛ أي أن الطفل يحصل على نصف حمضه النووي من أبيه، والنصف الآخر من أمه. لكن السؤال الأول الذي ظهر هو كيف نحدد نصف الحمض النووي الخاص بالأب و الخاص بالأم، ومن هنا ظهرت القاعدة الثانية التي

تقول: كل جين موجود في موقع معين من الحمض النووي لدى الطفل يوجد منه نسختان، واحدة من الأب وواحدة من الأم. بعد ذلك بدأت اختبارات النسب بتحاليل بسيطة مثل تحاليل فصائل الدم، حيث يوجد جينات مسؤولة عنها وبمقارنة فصائل دم الأب والأم و الطفل، يمكن التنبؤ بأبوة شخص من عدمها، لكن هذا الاختبار كان فعالًا فقط في نفي الأبوة وليس إثباتها، وذلك نظراً لوجود مجموعة ضيقة من فصائل الدم لدى البشر، واحتمالات حدوث تشابه بين فصيلة دم شخص وطفل لا تعني بالضرورة أنه أبوه، أما عدم وجود التشابه الصحيح بين فصيلة الشخص والطفل فتؤكد عدم أبوته له. اختبار الأنساب عن طريق الحمض النووي مع تقدم الاكتشافات الخاصة بالحمض النووي، تمكن العلماء من اكتشاف مواقع في الحمض النووي على الكروموسومات المختلفة. هذه المواقع توجد في صورة تتابع تكراري من الوحدات البنائية الخاصة بالحمض النووي، ويختلف من شخص لآخر في طوله».

لم يستكمل القراءة حينها اكتفى بجملة (لكن لهذا الاختبار نتائج فعالة في نفي الأبوة ليس إثباتها) فلم يقتنع بنتيجة التحليل أخذ النتيجة وأخبره الطبيب أن كريم ولده وحين عاد المنزل نهرها واتهمها أنها على علاقة بدكتور التحاليل لم تَلُمه، صبورٌ هي رغم قسوة ما تتحمله لكن وجود كريم حافز كبير للعيش مع هذا الرجل الذي يحبسها بالمنزل طيلة الوقت لم تخرج لتبتاع طلبات المنزل لم تتحدث مع بائع حتى لو أمام زوجها لم تمتلك هاتفًا كبقية

البشر لم تصادق نساءً لا تعيش بالمعنى الحرفي للكلمة هيهات كم ضحت هذه المسكينة ليعيش ولدها مع والده ووالدته فالولد بحاجة لوجود والديه مهما تقدم بالعمر لكن كريمًا لم يشعر بحضن والده الدافئ إلا بلحظات قليلة فقط لحظات ضعفه التي يحتضن بها كريم ليطمئن هو.

دخل كريم غرفة والده قبّل رأسه وأخذ له زجاجة من عصير المانجو محكمة الغلق كي لا يظن أن بها سما بغطاء صفيح كي يقتنع أنه لن يغرز سرنجة بها سم قاتل له، طلب منه أن يجلس معه فقط لدقائق ضم والده قدمه وانكمش فبدأ كريم بالحديث ليثير شفقة والده عليه:

- أبي! تعلم أنك لم تخبرني أنك تحبني مرة واحدة، كثيرًا أحتاج أن آخذَ رأيك في موضوعات تهمني لكنك كنت ترفض حتى النظر إلي، تتجاهلني، لم تسمح لوالدتي أن تنجب مرة أخرى تركتني وحيدًا، دونك أنا بلا هوية، أريدك معي والدي لا أريد منك نقودًا أو ملابسَ فقط أريد أبي أخبرتني والدتني بمرضك أبي!

ظهرت عليه ملامح الغضب وقبل أن ينطق بكلمة طلب منه كريم أن يسمعه أولًا لكنه تحدث بكل صرامة

- أنا لست مريضًا بني.

كريم وعيناه تدمع:

-ابنك تعلم أنني ابنك بابا حين كنت مريضًا جلست بجوارك بكيت كالأطفال خوفًا من أن أفقدك حتى مرضت بنفس مرضك

ارتفعت حرارتي كثيرًا صرت أهذي بكلمات غير مفهومة فإن لم تكن أبي لمَ سأحبك رغم أنك لم تقدم لي ما يجعلني أحبك دعني أساعدك أبي سنذهب للطبيب وهو من يقرر أنت مريض أم لا، إن لم أكن ابنك لمَ أردت وجودك معي لحمًا ودما وروحا ليس موجها منتقدًا كارهًا، بكي والده بين أحضانه وقرر أنه سيذهب معه للطبيب حين رأى في حديثه بصيص أمل يعيش من أجله.

*****

نور مصدومة مما أخبرها به والدها، أخبرها أنه ذات مساء شتوي اتصلت به ميرا تخبره أنها تقع بمشكلة كبيرة فذهب لها على الفور أخبرته بمقابلتها مع ياسر.

في كافتيريا الشركة أتى لها ياسر حين تأكد أن نور خرجت لتبتاع بعض مستلزمات الزواج مع والدتها، تحدث بلهجة قاسية يشكو من قرب نور الزائد منه وتعلقها به الذي أصبح يخنقه كحبل يلتف حول عنقه حاول مرارًا أن يحبها لكنه فشل بجدارة فهو ليس جديرًا بعشق فتاة شفافة رقيقة وكأنه ينتظر من تجعله يلتف حول حاله من أفعالها لا يستحق سوى أفعى.

لم تُصدم ميرا كثيرًا من حديثه فهي تعلم أنه يتهرب من صديقتها.

كم مرة خذلها ووعدها أن يأتي للمنزل وهي تتزين وتطهو أجمل الأكلات بيدها تنتظره وعيناها تنزف الدمع بقهر ويتصل هو بكل

هدوء بعد أن اتصلت به عشرات المرات ليجيب بكل برود وجمود

- لن آتي عندك فلن أجد منكِ ما يشجعني على رؤيتك حديثك بارد!

معترض هو على لومها المستمر له كيف لا تلومه وهو طيلة سنوات ارتباطهما لم يتصل بها سوى مرات تكاد تعد على الأصابع فمن المنطقي حين يتكرم ويجيب على مكالماتها ترد بغضب وعصبية لكن طبعه لم يرَ نفسه مخطئًا حتى ولو أقنعه أهل الأرض جميعًا.

كم مرة طلب منها أن تبتعد ليُقيم العلاقة دون مبررات ولم يعدل عن هذا القرار سوى وهي تبكي وتترجاه ألا يتركها، مسكينة نور كم تحبه وتتعامل بكل براءة تصّبر حالها بقطرات من الكلمات الكاذبة التي يلقيها عليها بدافع العطف.

لم تتردد ميرا أخبرته أنها ستنهي له الموضوع خبطت على المنضدة وقالت بغضب

- لن تستمر معك حتى لو رأيتها تموت أمامي أنتَ لست جديرًا بالعشق أكرهك كثيرًا

لم تفكر للحظة دخلت مكتب أ. خالد خبطت الباب وراءها، تحدثت وهي تلهث:

- ستترك ابنتك هذا ال ياسر . أرجوك ساعدني لا بد أن تتركه فالحيوان يخبرني أنه ملّ مِن اهتمامها ووجودها، نور ليست قليلة

نور جميلة تستحق من يقدرها ليست صديقتي مَن تتذلل لشاب كي يبقى بجوارها.

ملعون هو الحب حين يجني على قلب كل ما اقترفه هو أنه عشق فالحب حين يصبح عبئًا على أحد الأطراف يتحول للعنة تقتله.

طلب خالد منها أن تهدأ أولًا وطلب لها كوبًا من عصير الليمون وأغمض عينه وهو يدلك جبهته كيف سيتصرف مع ابنته. منذ البداية يرفض هذه العلاقة قلبًا وقالبًا لكنه لم يستطع أن يمنعها.

وبعد دقائق زفر واتصل بياسر يطلب منه الحضور فورًا دون إبداء أي أعذار

*****

الشغف: ملامسة الحب لشغاف القلب.

الحب لن يقتصر على الرجل والمرأة فهو فطرة بشرية للوالدين والأقارب، نحب لنحيا ولولا الحب لماتت بداخلنا الحياة.

الفصل الثالث عشر

هاجر تعترف لكريم أنه تمت خطبتها على سيف رغمًا عنها وهو يضحك بحزن، كان يتوقع ذلك فهي لم تحبه كل ما أرادته هو فقط أن تتزوج! لا يهم ممن تتزوج لكن الأهم أن تتزوج بأسرع وقت ممكن لم تكن تحبه يومًا بل كان كقطعة غيار، إن اختفى سوف يظهر، حزن كثيرا على نفسه كان يحبها لكن حب بلا أمل فقط احتياج للحب يتملكه ليثبت لحاله أنه مرغوب بوجوده ماذا سيفعل؟ جرحت رجولته لم يتقبل محاولات إظهار براءتها طلب منها ألا تتصل به مرة أخرى أبدًا مهما حدث فهو لن يريدها بحياته تحدث غاضبًا بابتسامةِ انتصارٍ على نفسه وهو يضغط على زر الحظر:

- بلوك يا هاجر من كل حياتي لا أريدك هنا .

*****

نور تستمع لحديث والدها وهي بقمة الذهول إلى هذا الحد كانت رخيصة وقليلة بنظر ياسر، استكمل خالد.

أغلق ياسر هاتفه ولم يأتِ لمقابلته أو حتى يعتذر فلم يكتفِ بالتقليل من شأن ابنته بل يقلل منه هو شخصيا.

سيارة سوداء تقف أمام منزل ياسر نزل منها خالد وبصوت جَهْوريّ: (ياااااسر).

نزل ياسر مع والداه الذي حاول أن يسيطر على الموقف بهدوء، غاضب هو في قمة حرجه مما يحدث، طلب من خالد أن يدخل الشقة ليتناول معهما كوبًا من القهوة فوافق على مضض.

ياسر بمعاملة خشنة: أنا لا أريد الزواج من نور

خالد بثقة: لكني لم أجبرك على المجيء لطلب يدها لمَ الآن تطلب فسخ الخطبة وأنت تعلم كم تحبك بل تذهب لصديقتها تطلب منها أن تُبعد ابنتي عنك؟!

ياسر وهو يزفر: وهذا هو السبب تحبني لم ترَ عيوبي رغم أنني أرى عيوبها كاملة، لم تخطئ بكلمة أو تتشاجر معي إلا لقلة اهتمامي، باردة هي علاقتنا، كنت أتمنى أن تكون هناك حياة بيننا لكن كيف ومجرد خطبة لن أتحمل استكمالها؟!

بعد أن وصل خالد معه لحائط سد أزال عنه الحرج وطلب منه أن يخبر نور أنه أتت له سفرية عمل وأنها فرصة لن تعوض ويطلب منها الذهاب معه للمستشفى لاستكمال أوراق السفر وهناك يخبر الطبيب نور بمرضه، طبعًا لم يكن مريضًا كانت خدعة من خالد، حتى موته كان خدعة واتفاقًا بين الجميع بعلم ميرا، خالد ورويدا كل ما فعله خالد كان لكي لا ينجرح قلب ابنته لم يعلم أنه الآن وهو يخبرها بالحقيقة يمرر سكينًا باردًا على رقبتها صرخات داخلية توالت داخلها امتنعت عن إخراجها لم تنطق إلا بكلمة:

- لمَ لم تخبرني ميرا حين طلب منها أن أتركه؟!

أجاب بثقة: كنتِ ستحادثينه لومًا تبكين حتى يعدل عن قراره

أجابت بحسرة وعيناها تلمع من الدمع: لم أتوقع أن تخدعني صديقتي هذا خداع لمَ لم تخبرني أنه لم يحبني وأنه قال وقال و.. و....

ضرب خالد المنضدة بيده فنظر إليه الجميع حاول أن يهدأ وتحدث وهو يجز أسنانه

- جميعنا قلنا لم يحبك.. كنتِ معصوبة العينين

لملمت نور أشياءها وطلبت من والدها أن تعود للمنزل بمفردها ترجته والدمع مختنق بحلقها فوافق مقررًا مراقبتها من بعيد ظلت تسير بالشارع وهي شاردة لا تشعر بشيء من حولها حتى دخلت باب العمارة ووراءها والدها ينظر لعينيها المنتفختين يحاول كشف ما بقلبها من غصة لكنه يتعجب من نظراتها الصارمة دخلت الشقة وأول شيء فعلته حين دخلت غرفتها هو أنها طلبت من ميرا أن تخرج من الغرفة فأخذت ميرا حقيبتها وحبكت شعرها. كانت جاهزة للمغادرة. لم تمنعها استبدلت بملابسها رداءً أسود وأغلقت الباب وراءها.

تتذكر كم أهانت نفسها معه تذكرت كلمته التي ما زالت تتردد بأذنها كل لحظة وتشعر بالدونية حينها.

ذات يوم كانت تريد أن تطمئن عليه وهو يتسامر مع أصدقائه كان هاتفها تالفًا، والدها بعمله ووالدتها لم تمتلك هاتفًا حينها نزلت الشارع متلهفة لسماع صوته وفور دخولها السنترال وجدته

يخرج من الكابينه كان يحدث صديقه ليشاهد معه مباراة كرة القدم أما هي فلا تستحق مجرد دقيقة من وقته لامته كثيرًا فقال بنرجسية:

- أراكِ كشحاذة تُلحّين عليّ لأهتم بكِ

لم تجبه فكلمات الدنيا لن تلملم كرامتها المبعثرة أمام حالها حينها! ليست هذه المرة الوحيدة التي خذلها بها فكل عام يوم ميلادها كانت تنتظر الساعة تدق الثانية عشرة صباحًا تنظر للهاتف في انتظار أن يتصل يهنئها لكنه لم يفعل ومن تتصل هي ميرا فقط وهو حين يتذكر ويخرج من عالمه يفكر بتلك التي تشتهي العذاب

مواقف كثيرة قد ترونها ساذجة لكن مفتاح قلب أي فتاة هو الاهتمام ليس إلا، لن تجبرهن الهدايا ولا المال ولا أي شيء بالكون فقط اهتم فسترى ملاكًا رحيمًا بين يديك أما إن لم تهتم فلن ترى سوى شيطانٍ رجيم.

*****

أخذ كريم والده إلى الطبيب النفسي ليبدأ رحلة العلاج، لم يكن يعرف ماذا به فقط بدأ يتفهم أن تصرفاته غير طبيعية وأدرك سبب إقالته من كل عمل يطرق بابه تعرف على أسباب عزلته وضعفه دخلا معًا للطبيب فابتسم للوهلة الأولى قائلًا

- كيف يمكنني أن أساعدكما؟

يوسف: ساعدني كي أعيش حياة طبيعية أختلط بالآخرين، أن أشعر بروعة الحياة فابني سيكون سعيدًا إذا خضعت للعلاج وأظن أنا أيضًا سأشعر براحة جئت لأرضي جميع الأطراف.

يوسف يبدو وسيمًا خمري اللون، عيناه عسليتان جاحظتان، أصلع طويل القامة رغم تعديه عامه الستين يبدو كشابٍّ أربعيني لاهتمامه البالغ بنفسه.

طلب منه الطبيب أن يحكي ممَ يشكو فاستأذن كريم وخرج فروى له يوسف منذ بداية مرضه كان بعامه الخامس والعشرين تعرض لضغوط كبيرة بحياته فأخذه أخوه لدجالٍ يتلو عليه القرآن مدعيًا أن ما يفعله سيشفيه تمامًا وبعد زيارات تكررت لأكثر من مرة حسم الدجال الأمر

وضع يوسف رأسه أرضًا قائلًا

- وأخبر أخي أن جسدي مسكون بقبيلة من الجن وهم من يدفعونني لمثل هذه الأفعال، أسب كل من أقابل أرى أناسًا يضربونني أسمع صوت التلفاز وأحدهم يشير إلي ويخرج لسانه أشياء كثيرة كان يجن جنوني حين أن تحدث.

بعد محاولات الدجال بالقضاء على القبيلة كان يفشل وأنا مستمر بعنادي وصراخي وسخطي وسب أخي والدجال وكل من أراه وكأنني بمؤامرة ضد نفسي أكره الجميع أتى برباط طويل ولفه حول عنقي كدت أن أموت استدعيت قواي وضربته ضربًا مبرحًا هربت من المكان أختبئ بأحضان زوجتي.

سأله الطبيب هل خطر ببال أحد أنه بحاجة إلى علاجٍ نفسي فهز رأسه بالإيجاب، نعم قالت زوجته قبل زواجهما فهي ابنة عمه لكنها لم تلقَ إلا هجومًا من أفراد العائلة فالمرض النفسي في مجتمع مثل مجتمعنا بمثابة وصمة عار يتهرب الجميع منها. ألا يعلمون أن الدجل كفر بالله تعالى أما الطب النفسي فليس عليه غبار فهو علم واسع له حقائق ملموسة بعض المرضى يندمون بعد إقبالهم على هذه الخطوة يتراجعون بعد أن يلقوا نفورًا من الجميع.

ومن خلال حديثه مع الطبيب أيقن أنه يعاني من ضلالات بصرية واضطهاد وضلالات شك (فصام) وعدد المصابين بالفصام في مصر واحد بالمئة من سكان العالم ومصر بها سبعة وتسعون مليون فرد فبالتالي يعاني سبعة وتسعون ألف شخص من الفصام فمريض الفصام يعيش حياة شبه محال أن يتحملها غيره.

أخبره الطبيب أنه حقا يحتاج للعلاج الدوائي والعلاج النفسي سأله الطبيب وهو يحك أنفه بأظفره

- هل أنت متأكد أن كريم ابنك؟

بكل هدوء وخوف وذعر ودموع ملأت وجهه أجاب: لا لم أصدق شيئًا بحياتي لم أصدق أنها هي من أحببتها بعد زواجنا بفترة توفيت والدتي. بعد شجار بيننا نهرني أخي وبات يشير إلي ويصيح ماتت أمي أنت سبب موتها لولاك لكانت بيننا.

حينها خرجت من المنزل بحالة لا يرثى لها بكيت كدت أموت وجعًا وبعدها أصبحت كطفل صغير أبكي لأتفه الأسباب وكأنني بحاجة لحضن أمي أحاول أن ألقي حالي من الشرفة لكن زوجتي تمنعني وتبكي بقوة بعد فترة بدأت أشك أنها لم تعد لي وحدي كنت أعود من عملي أجدها بكامل زينتها متعطرة ومساحيق التجميل تملؤ ملامحها من البداية وأنا أشعر أنها كثيرة على شخص مثلي أو أنني أقل منها، كنت أضربها لأشعر بالرجولة والسيطرة عليها أتهمها بالعهر تارة أطردها وهي لم تتفوه بكلمة لمخلوق خارج الشقة وتعود حين أذهب إليها متوسلًا.

وفي يوم عدت من عملي وجدت شموعًا كثيرة وحولها ما لذ وطاب لي من الطعام وكانت المفاجأة؟؟؟؟؟

*****

الغرام: شدة التعلق بالحبيب، فلا يمكن التخلص منه.

احذر أن تكون عبئًا على من تحب، لا تدْنُ أكثر من اللازم.

الفصل الرابع عشر

وكانت المفاجأة أنها حامل، لم أصدقها أبدًا، ظننتها تمزح، لم أكن أعلم أن كريمًا سيكون ضحية مرضي وعجزي وضعفي وشكي، أعيش بعزلة، تؤلمني نظراتهم ويؤلمني كره كريم ووالدته لي، فما أفعله معها حتمًا سيجعلها تكرهني حد الموت. أنهى الطبيب الجلسة واتفقا على موعد آخر للجلسة الثانية.

*****

نور تنادي والدتها لتساعدها في الحركة، فهي تشعر بشلل في أطرافها، دخلت والدتها فوجدتها بحالة لا يُرثى لها، جفنها منتفخ من حدة البكاء، حاولت ضمها لكنها اعتذرت عن معانقتها، فهي أيضًا كذبت عليها؛ كانت تعلم أنه ما زال على قيد الحياة، تركتها تحبه، لو علمت من البداية أنه يفضل الموت عن البقاء معها لما بقيت معه يومًا واحدًا.

ساعدتها لدخول دورة المياه وانشغلت هي بالطبخ، تنادي بعفوية:

- نور، تعالي لتقطعي السلطة.

لم تجب نور، مسحت رويدا يدها بثيابها وخرجت من المطبخ متجهة إلى غرفتها وهي تنادي فلم تجب، لاحظت أن ضوء دورة المياه ما زال موقدا، فطرقت الباب وعيناها تنطقان بالرعب.

- نور، هل تسمعينني نور؟ نور؟

*****

خالد يجلس على مكتبه يفض شجارًا بين سيد وكريم، فكريم يتعامل معه باستهزاء وينكر وجوده، أما سيد فلم يعرف سبب تغير تصرفات كريم معه، وبكل ثقة ذهب إلى خالد يطلب إقالة كريم من العمل. رفض خالد بشدة وروى لسيد عن الجهد الذي بذله كريم لكشف حقيقة ما حدث، ففوجئ بالموقف كليًا، لم يخبره خالد عما حدث من الأساس، تحدث بحدة، وغضب:

- الآن سأقدم استقالتي، أنت تضع الشركة في يد أصدقاء ابنتك التي لم تتعدَّ عامها الثلاثين، وأنا على هامش الشركة لم أعرف أي شيء سوى بالصدفة، نائب مدير على الأوراق لستُ إلا.

حاول خالد تهدئته، لكنه كان في قمة سخطه وأصر على الاستقالة، فاضطر خالد أن يوافق. خرج كريم وراءه، خالد يراهما من وراء زجاج المكتب، كريم يتكلم بحدة ويشير بأصابعه يتوعد سيد، ففتح باب مكتبه ونادى بجدية على كريم:

- لا يعني أنه استقال أن تتحدث معه بهذه الطريقة، هو بعمر والدك وهذا لا يصح أبدًا.

صمت كريم قليلًا ثم زفر:

- لم أود أن أقول لك بأنه حاول مضايقة نور من قبل.

هز خالد رأسه بالإيجاب، فهو يعلم ذلك وظن أنه مجرد سوء فهم. استكمل كريم حديثه:

- ذات مرة اقترب من وجهها بطريقة جعلتها ترجف وتتصبب عرقًا، والمرة الأخرى كانت تهندم ملابسها في مكتبك وهو ينظر إليها بطريقة غير محترمة، لم تكن تعلم بوجوده.

تغيرت ملامح خالد ورفع حاجبيه، اتصل بالحسابات، توقف سيد هناك فذهب إليه بصحبة كريم، دفعه على الحائط وهو في قمة غضبه:

- لولا أننا في العمل لقتلتك! اختفِ من الشركة، وإن رأيتك يومًا ما سأقتلك! أنت رجل قذر، حسبي الله ونعم الوكيل، أشكوك لربي، ليس ضعفًا بل ثقة به.

عاد إلى مكتبه مع كريم واستدعى ميرا ليتحدثوا حول خطة العمل في الفترة القادمة في ظل غياب نور واستقالة سيد، فهي في إجازة طويلة، يتسامرون ويضحكون وقطع حديثهم اتصال رويدا.

خالد: نعم رويدا.

رويدا تصيح: نور في الحمام منذ نصف ساعة، أطرق الباب ولا تُجيب، اِلحَق بي يا خالد!

صاح بها: اكسري الباب، وماذا تنتظرين؟!

عاجزة هي عن كسر الباب، تحاول دفعه بكل قوتها لكنها فشلت، تصرخ ولا يسمعها أحد من الجيران.

أخذ خالد مفتاح سيارته، نهض من مقعده بسرعة بعد أن أخبر ميرا وكريم أن نور لم تجب، فذهبا معه للاطمئنان عليها، وفي ظرف دقائق وصل المنزل، كان يقود بسرعة جنونية، كيف ستكون حياته إن لم تكن نور معه؟!

فتح باب الشقة وكسر باب دورة المياه، فوجدها غارقة بالدماء بعد أن قطعت شرايين يدها بشفرة الحلاقة، أعطى خالد ظهره للحائط وجلس بجوارها يتوسل إليها أن تنطق وترد عليه، ميرا تختبئ بأحضان رويدا وتصرخ:

- نحن من قتلناها، أقسم بربي سأقتلك يا ياسر لو أصابها مكروه!

أما كريم، فكان رد فعله مختلفًا، حملها على يده وجرى بها على الشارع متجهًا إلى المستشفى، وقبل أن يقف لهم تاكسي، نزل الجميع، فتح خالد سيارته وأخذهم إلى المستشفى، أخذها الأطباء بسرعة لقياس النبض ومحاولة إسعافها، بعد مرور نصف ساعة خرج الطبيب فجرى خالد عليه:

- أرجوك انقذ ابنتي وسأعطيك كل المال الذي تريده، سأعطيك كل شيء، فقط أريدها!

أمسك الطبيب يده بشدة ليطمئنه أنها بخير، فقط تحتاج إلى تعليق محلول لتعوض ما فقدته من دماء وتخييط جرح يدها، وستُنقل إلى غرفة اعتيادية في المستشفى.

كريم لا يفهم سر شعورهم بالذنب جميعًا، لكن ليس هذا وقت السؤال.

*****

نور على فراش في المشفى وبجوارها ميرا ووالدتها، كريم بالخارج مع خالد، فتحت عينيها بعض الشيء وتنحنحت:

- أين أنا؟

خرجت ميرا بسرعة وبفرحة عارمة:

- عمو خالد، نور أفاقت، نور تتحدث، لم أفقدها، أليس كذلك؟

دخل بسرعة بينما كريم تأخر خطوة وتقدم خطوة، فأذن له خالد بالدخول لرؤيتها. نظرات لوم من نور للجميع، تتفقد أرجاء الغرفة ثم نظرت إلى كريم وابتسمت بنفاد أمل.

- تعلم أنك الوحيد الذي لم يخدعني حتى الآن وتعاملني بآدمية!

كريم بخوف: لا تتحدثي كثيرًا، أنتِ بحاجة إلى الراحة.

طلبت منهم أن يتركوها مع كريم، بدأ كريم الحديث محاولًا كسر حاجز الصمت.

- لمَ تغضبين الله وتنهين حياتك؟! لا يوجد شيء في الكون يستحق موتك.

أجابتة بحنق:

- لم أجد الرحمة في قلوب البشر، فوددت أن أموت لعله يرحمني من قسوتهم.

لم يتمكن من الرد عليها، فهو استنتج أن كلمات الدنيا لم تطفئ نيران قلبها المتوهج، لكنه شغوف أن يعرف ماذا بها، فقط منذ أيام معدودة كانت بخير، فهل ستخبره وتنزع رداء كرامتها المُهانة أمامه؟

*****

الشوق: نزوع النفس إلى الحبيب وشدة تعلقها به.

فمن الشوق ما يقتل، قد نتصرف بتهور فيظهر عكس ما هو في قلوبنا؛ يظن الجميع أننا نبتعد لنكشف الأخطاء، لكن في الواقع هي محاولة للتقرب لعلنا نجد ما يرضي كبرياءنا ويربت على قلوبنا بكلمة تطفئ نيران الهجر.

الفصل الخامس عشر

أخبرته حين كانت بالدراسة وكل من صديقاتها أن لديها شابا معجبا بها، بل يحبها، أما هي فلم يهتم أحد بوجودها أبدًا، كانت تبحث عن الحب وحين أتى ياسر لم تصدق أنه حقًّا يحبها ويريدها، لكنه حينها أثبت حبه بتقدمه لخطبتها، وبضحكة مكسورة:

- اسمه ياسر، ملك كل شيء بداخلي ولملم أشلاء مشاعري ليحظى بحبي، وحين تأكد من استحالة هجري له، بات يتعامل وكأنني لم أكن موجودة. حاولت جاهدة أن أعيد اهتمامه، لُمتُه كثيرًا لما تغير، فهو من اقترب، لم أطلب منه أبدًا أن يدخل قلبي ثم يفر هاربًا.

أغمضتْ عينيها وكفكفت دمعها ثم تنهدت وقالت:

- لم أجبره على التقرب مني، لكن لن أسمح له أن يتركني بعد أن شعرت أنني إنسانة يحق لي الحب والاهتمام، وكأن العيب في شخصيتي! أنا لست جديرة بالحب، أم أقل من بنات الكون في شيء؟ لمَ لا يُحبني أحد؟

سألها كريم بفضول رافعًا حاجبيه:

- ألم تقولي لي أنه توفي!

نور بنبرة تشبه البكاء:

- نعم، مااات بداخلي، لم يتمكن من العودة إلى ذاك المكان أبدًا.

أخبرته بكل شيء ثم وضعت يدها حول ركبتيها، ها هي الآن عارية أمامه، لكنها عارية من الكذبات، توسلت إليه ألا يخذلها، لكنه تعجب كثيرًا لمَ اختار ياسر هذه الفتاة وفي هذا التوقيت ليرتبط بها وهو يعلم أن نور بالتأكيد ستعرف أنه على قيد الحياة بارتباطه بهذه الفتاة، بالتأكيد أراد كسرها مرة أخرى أو هناك دافع انتقامي وراء اختباره لهذه الفتاة بالتحديد.

*****

كريم بالمنزل يرتدي حذاءه ويستعجل والده، فاليوم موعده مع الطبيب النفسي بعد أن أذن له خالد بإجازة. دخل يوسف غرفة د. شهاب علام، استكمل من حيث وقف:

- وفي يوم عدت من عملي، وجدت شموعًا كثيرة وحولها مما لذ وطاب من الطعام، يتوسطها جوارب لمولود صغير، وكانت المفاجأة؟ أنها حامل!

قفز الشك فوق مشاعر أبوته، تعامل معها بفتور، أردف وسأل الطبيب:

- إذا كان كريم ابني هل يرث مني داء الشك؟

أجابه الطبيب بثقة أن الدراسات تؤكد أن المرض هو وراثي، ولكن لا توجد الدلالة الرئيسية لذلك، ولكن إذا تحقق له الظرف والمناخ المناسب لظهوره فسوف يحدث هذا بكل سهولة.

لم يفهم حديث الطبيب، لكنه أوضح له أن كريم عرضة للإصابة بالفصام إذا وُضع تحت ضغط وظروف قاسية، لكن ليس من الضروري أن يصاب بحدة المرض نفسها، فاطمأن قلبه بعض الشيء، لكن ما آثار قلقه أن بعض الحالات يظهر عليها مرض الفصام في سن الثمانية عشر عامًا.

طمأنه الطبيب أن ٦٠% تقريبًا من المصابين بالفصام لا يوجد في أسرهم تاريخ مرضي سابق يدل على حدوث الفصام. ورغم أن هناك بعض الفرضيات التي تفترض أن المرض ينتقل بذاته، فإن الأرجح هو أن الذي ينتقل هو القابلية والاستعداد للإصابة بالمرض إذا توفر ما يدعو إلى حدوثه من أقدار الله. وبعد حديث مطول، انتهت الجلسة مع إعطاء والد كريم بعض العقاقير على أمل أن يتحسن، وطلب من كريم أن يتصل بوالدته ليتناول معهم الغداء على ضفاف النيل، تعجب كريم حين طلب منها أن تلحق بهم هي إلى هناك، وسأل نفسه هل هو واثق بها هذه المرة أم يعاند حاله ليتغلب على شكه.

ارتدت ملابسها التي كان يفضلها هو منذ خطبتهما، ووضعت قليلًا من مساحيق التجميل. أخذت في المواصلة متجهة إلى المطعم، ذهب لاستقبالها، سحب المقعد من المطعم برقة وأشار إليها بالجلوس فابتسمت، أعطاها قائمة الطلبات لتطلب ما يلذ

لها من طعام، فنظرت إليه وعيناها تنطقان بالعشق، لتخبره بدلال أنها ستأخذ طعامًا مثله. كريم سعيد، يبتسم لأول مرة منذ وفاة تامر وترك هاجر له ومحاولة نور الانتحار، تعسرت أموره كثيرًا هذه الفترة، وها هو الله يصلح كل شيء ويرسل إليه العوض.

كان يومًا جميلًا، بداية جديدة في علاقتها بهذا الرجل الذي غاب منذ مرضه، غاب عن الحياة، عن ولده وعنها، وكأن نبض قلبها توقف لسنوات ثم عاد لينبض بكلمات لن تكفي صفحات الكون لكتابتها.

*****

نور تجلس أمام الحاسوب تحاول تهكير إيميل ياسر بالطرق كافة، استرجعت اهتماماته وتواريخه المفضلة، أرقامه المميزة التي يستخدمها في السابق من كلمات السر التي توقعتها، وبالفعل صادف معها تاريخ مولد والده ١٢/ ٩ /١٩٥٩.

بسرعة وقبل أن يكتشف ياسر بفتح جهاز آخر لحسابه، طبعت محادثاته مع آسيا، وفي هذه اللحظة دخلت والدتها، فلملمت الأوراق بسرعة وتلجلجت بالحديث:

- ماذا تريدين أمي؟

أخبرتها أن ميرا بانتظارها، فطلبت منها فقط أن تتركها خمس دقائق لتبدل ثيابها، أغلقت حساب ياسر ووضعت الأوراق في درج المكتب المجاور لمضجعها، خرجت من غرفتها التي لم تخرج منها

منذ عدة أيام، وكانت المفاجأة! بالونات في كل مكان وظلام وشموع ومفرقعات بجوار أذنها، فقفزت إلى أعلى والجميع يتوسلون إليها أن تسامحهم، يعلمون حجم الجرح الذي تسببوا في فتحه، لكنهم حقًّا فعلوا كل شيء من أجلها. وبعد حديث دار بينهم وأمنيات من الجميع أن تعود نور، نور التي لم تنطفئ بغياب بريق الحب في عينيها، نور التي تضيء الكون بابتسامة من ثغرها، نور القوية أو التي تتظاهر بذلك.

نور وكأنهم أخمدوا ما بداخلها من نيران باهتمامهم بها، أكلت الحلوى بنهم، ضحكت وملأت وجوههم بالثلج المعلب، قفزت كطفلة من فرط سعادتها تُقبِّل كل من تُقَابل؛ والدها، ميرا، والدتها. ها هي تحاول التعايش وتعود من جديد، ثم نظرت إلى ميرا وقالت وهي ترمش بعينيها:

- أما أنتِ يا حلوتي، هناك أشياء غامضة وأحاديث مطولة ستكون بيننا، بعدها سأقرر هل أسامحك أم لا.

ارتبكت ميرا من حديثها، ثم تناول الجميع الكحكة المزينة بكلمة «آسف يا نور» بعد أن أكلت نور بقية الحلوى وحدها دون أن تعطي أحدًا منهم.

طَيَّب هذا الموقف خاطرها بعض الشيء ورسم الابتسامة على ملامحها، بعد انتهاء هذه الليلة ذهب كل منهم لحاله سواها، تفكر ماذا ستقرأ في الأوراق!

هل ستُصدم؟ أم ستجد مقدار ذرة أمل كي لا تكرهه...

الصبوة: اللهو والغزل بين الحبيبن.

حين تبدأ علاقة جديدة، تكون في قمة سعادتك، لكن كُن حذرًا كي لا تجرح شخصًا كل ما اقترفه ثقته بك، تحدث عن حالك وكن مهذبًا، فمن أدب العلاقات عدم كشف عيوب الآخر بعد انقضاء العلاقة.

الفصل السادس عشر

نور تتفقد الأوراق، ومع كل ورقة تتغمد بالكسرة وتعلم أن هذه استكانة وليست حبًا، ففي بداية التعارف ياسر يكتب لآسيا:

- مرحبًا بأجمل فتاة في الكون.

فنهرته بأي حق يتحدث بهذه الثقة، ولمَ يتحدث وهي تعلم أنه خطيب نور مندور؟!

أجابها بعد لحظة:

- أي نور تقصدين؟ هذه منطفئة، ليس لها وجود بداخلي، لم أنجذب إلى طباعها.. ملامحها.. حديثها.. حتى مشاعرها، لكن حين رأيتك، تزلزل كياني وقررت الحديث معك لأعترف لك أنك أسَرتِني بجمالك ورقتك وحجابك، أما هي تداري ترددها وشخصيتها المذبذبة بمساحيق تجميل!

نظرت نور إلى المرأة التي أمامها وتفقدت بيدها ملامح وجهها، ثم أخرجت من الخزانة حجابًا رماديًّا ووضعته حول شعرها وهي تتساءل: هل تركني لأنني لست ملتزمة! أردفت وهي تهز رأسها بالنفي: أي التزام وهو يحادث فتاة لا يعرفها عني بهذه اللهجة؟! أي دين الذي يدَّعيه وهو لا يعرف للرحمة معنى، وبغضب ونبرة باكية:

- ليس لك مكانٌ في قلبي.. أقسم لكَ لن أرحمك!

استكملت قراءتها بعد أن تأثرت آسيا بحديث ياسر، فهو قادر على إقناع أي فتاة بشخصيته وفرض وجوده، متمكن هو من الخداع، شكرته آسيا على كلماته الرقيقة وانتهت المحادثة، قلبت نور الورقة بشغف وتلهف لرؤية ما يرضيها، وفي أول سطر بدأت آسيا بالسؤال عن ياسر فكتبت:

- أين أنت وكيف حالك؟

أجابها أنه بخير، وبعد حديث شائق عن إعجابها بشخصيته وحديثه ومحاولات إثارة غروره وشعوره بأن نور لا تستحقه، سألته:

- كيف تعرفت عليها؟

فروى لها.

على أحد شواطئ الإسكندرية، فتاة تغرق في البحر وليس هناك فريق إنقاذ في الشاطئ، خالد يصرخ: ابنتي ابنتي... يجري يمينًا ويسارًا، يضع الرمال فوق رأسه فهو لم يلمس البحر لمرة واحدة منذ ولادته، يكرهه، يخاف منه، يبتعد دون سبب. كانت تغرق هي مع والدتها، وفي أقل من لحظة، نزع ياسر ثيابه وقفز في البحر ليخرجهما بحالة سيئة واحدة تلو الأخرى، خالد يجلس أمام نور، ينظر إليها والرعب يتناثر من حوله، ورويدا تتهافت أنفاسها وتشكر ربها على خروجها سالمة بعد أن كان بينها وبين الموت لحظات، لم تقوَ على نطق الشهادة من شدة الرعب. بدأ التعارف بينهما، أعجب ياسر بنور، وهي أيضا تنظر إليه طيلة الوقت،

تعجبها عينه السوداء وشعره الناعم الأسود القاتم وبشرته الخمرية المتوسطة الطول. أصر خالد أنه سيتناول معهم الغداء في مطعم أسماك فاخر، أطلّت نور هذا اليوم بثياب كالأميرات وزينت وجهها بمكياچ رقيق، فتجرأ كعادته وتعرف على والدها عن قرب بعد أن لاحظ من تصرفات نور المريبة أنها أعجبت به، رأى في عينيها احتياجًا إلى الحب لم يشهده من قبل، فأخذ هذه الثغرة لصالحه وقرر التقرب منها حتى ينهل من طاقة الحب لديها، توالت المقابلات والمحادثات الهاتفية، وبعد مرور شهرين طلب ياسر مقابلة نور، لكنها رفضت، وبثقة:

- سأقابلك في المنزل أمام والديكِ ومعي والداي لنحتسي القهوة.

ثم تنحنح مبتسمًا:

- أو الشربات.

فرحت كثيرًا بما قال، فهي لم تتوقع أن هذا اليوم سيأتي، هندمت المنزل مع والدتها بعد أن اتفقت مع ياسر على المجيء يوم الخميس، اتصل هو بخالد ليؤكد حضوره بعد أن شعر بموافقة نور، وفي الوقت نفسه، تذكرت نور ليلة حضور ياسر مع عائلته، جلس خالد معها وتحدث بكل ثقة وثبات:

- لست مطمئنًا لهذا الشاب، متى أعجب بها؟ وبسرعة جاء لخطبتها؟ هناك أمر غريب!

نور بدلال:

- غريبة! أتراني قبيحة أم أقل من أي فتاة في الدنيا؟!

خالد بجدية:

- افهمي كما تشائين ابنتي، قلتُ ما يمليه عليّ ضميري.

أما والدتها، كانت كأي أم في الكون، متسرعة وترغب في ستر ابنتها ورؤيتها في بيت زوجها.

رغم كل شيء، رغم رفض خالد أهلَ ياسر وأسلوب تعاملهم المثير للاشمئزاز، يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة، يسألون عن كل شيء دون وجه حق، رغم خوفه من نظرته التي يعلمها من خبرته أنها ليست نظرة عاشق أو راغب في الزواج، وافق على الخطبة وأتممها في فندق ضخم، وفي يوم الخطبة ذهبت لتتزين إلى صالون التجميل وحيدة، لم يساعدها أحد في ارتداء فستانها أو يلتف حولها عشرات الأصدقاء، حتى ميرا عجزت عن مؤازرتها في هذا اليوم كي لا تترك الشركة، وانكسر داخلها شيء لا يمكن أن يلتئم، فالفتاة في هذه الأوقات تكون في قمة الاحتياج إلى أخت تشاركها هذه اللحظات التي لا تنسى.

ارتدت نور فستانًا ورديًا وزينت رأسها بتاجٍ كالأميرة، كانت تشبه القمر، ياسر تأخر عليها كثيرًا، بكت حتى فسد مكياچها وأعادته ثانيةً، جاء غاضبًا يرفع صوته في وجهها، تغاضت عن كسر خاطرها ونزلت معه لتركب سيارة والدها المزينة بالورود يقودها أحد الأقارب، ترتسم على وجهها السعادة بانتظار أن تتزين إصبعها

بخاتم يلتف حول قلبها فيحجمه بعشق قد يؤدي بقلبها إلى الهلاك، وهي لا تعلم دخلت القاعة ويدها تلتف حول يده، وميرا تقف وراءها تمسك بفستانها، ووالدتها تدمع من السعادة، أما والدها فكان يراقب نظرات ياسر غير المفهومة، وقبل أن يجلس بجوارها كأي عروسين، تركها وذهب إلى أصدقائه يرقص معهم.

نور تجلس في زفافها وحيدة تنظر إلى السماء وتقول بخيبة أمل:

- أهذا هو اليوم الذي طالما حلمت به؟!

ميرا ترقص وسط فتيات العائلة وأقارب العريس والجميع منشغل وسعيد سواها. جاء ياسر بعد أن أنهى ترحيبه بأصدقائه متنازلًا ليأخذ صورة مع هذه التي يطلق عليها عروس، بل هي مجرد ديكور يزين المقعد الأبيض الذي يعتلي قاعة كبيرة يملأها الفراغ، في آخر لحظات العرس، ألقى على قلبها السكينة بكلمات حب، مما جعلها تتناسى جراح اليوم.

رفعت شفتيها إلى أعلى، هزت رأسها وأغمضت عينيها عدة مرات مستكملة قراءة دليل إدانة عشيقها، آسيا تخبره بمدى الخسائر الواقعة على شركة والدها من اجتهاد شركة مندور، فتحدث بكل نكران للجميل وغطرسة:

- مشكلة خالد مندور أنه شخص في قمة الغرور والأنانية، أنا حقًّا أكرهه، حتى إنه لم يُجِد تربية ابنته الضعيفة الشخصية، من وجهة نظري نور تحتاج إلى بعض الجلسات النفسية.

آسيا بتعجب و«إيموشن» رافعًا حاجبيه:

- ولمَ تستمر معها حتى الآن؟!

إجابته كانت بمثابة سكين وُضِعت في قلب نور فشلت في نزعها، بل قد تفشل عدة مرات، فبعض الكلمات تخرج كالسهام تجرح القلوب.

*****

كسر الخواطر:

قد ترى عينًا مكسورة دون سبب واضح رغم ظنك أن هذا الإنسان سعيد إلى أبعد الحدود، قد تحسده على ما يمتلك من مال، سعادة، أسرة... لكن إن اقتحمت دواخله تجد إنسانًا هشًا تحطم حين كُسر خاطره آلاف المرات.

الفصل السابع عشر

أجاب ياسر بجمود:

- أشفق عليها فقط! لم أحبها أو أعجب بها.

توالت محادثاتهما، نور تمرر الأوراق ومع كل ورقة يزداد عمق جرحها منه، حتى جاء يوم وقرر ياسر الارتباط بآسيا، ووضعت له خطة محكمة وهي ما حدث وعرفته مِن والدها، أمسكت الأوراق ولم تستكمل القراءة، فمزقتها قطعًا صغيرة وهي تكتم صرختها بالوسادة، ظنت أن الأمر أيسر من ذلك، فمهما كان مدى احتياجها إلى الحب عميقًا لن يضاهي أبدًا كلمة (أشفق عليها) تقال منه هو لفتاة لا تعرف عن نور سوى أنها ابنة خالد مندور، ضجرت من إهانته لوالدها، لمَ تقرب منها؟ آلاف الأسئلة دارت في رأسها.

غفت وفي اليوم التالي استيقظت، تكحلت كي لا تظهر آثار البكاء على وجهها، تناولت شريحة من الخبز مع قطعة من الجبن المملح، دخلت مع والدتها المطبخ بعد حديثهم عن ليلة البارحة وفتحها لهدايا الاعتذار، لا تشعر هي بروعة أي شيء، نظرت إلى والدتها طويلًا ثم كشفت صدرها، تطلب من والدتها أن ترى فيه شيئًا يؤلمها بشدة، تظن أن الجراح تُرى بالعين، طمأنتها والدتها أن لا شيء ظاهر، وهي غير متوقعة أن ابنتها جريحة إلى هذه الدرجة، فهي ضحية شاب طائش وضعه الحظ في طريقها فساده الظلام وقتل كل جميل بداخلها.

وفي المطبخ، نور تجلس على المقعد تساعد والدتها في تنظيف الباذنجان لإعداده للحشو، رويدا تبتسم وتقول:

- أجمل شيء هو أنك في إجازة من العمل، أأتنس بكِ وتساعدينني.

لم تلاحظ ابتسامة أو أي رد فعل على وجه نور، فذهبت إليها تنقر بيدها فوق كتفها:

- نور، ماذا بك؟

لم تنتبه سوى إلى يدها تسيل منها الدماء بعد أن جرحت من آلة تنظيف الباذنجان، تحاول فك يدها لكنها تجز على أسنانها عاقدة يدها بقوة تعجز رويدا عن حلها إلا بعد محاولات عديدة، ثم بكت نور حتى تفطرت من شدة البكاء، ربتت والدتها فوق كتفها وقالت بحزن:

- متى ستعترفين أنك بحاجة إلى المساعدة ابنتي؟ أنتِ بحاجة إلى طبيب نفسي يساعدك.

تذكرت كلمة ياسر (أراها تحتاج إلى بعض الجلسات النفسية).

فصاحت:

- لا يا أمي، لن آخذ جلسات نفسية، لستُ مجنونة أنا!

أشارت والدتها إليها كي تصمت تمامًا، مما جعلها تفكر للحظة، فوالدتها يومًا ما كانت تعالج نفسيًا وهي تعلم ذلك، اعتذرت لوالدتها وقبلت يدها ورأسها ثم طلبت منها أن تترك موضوع

الطبيب الآن، طلبت من والدتها حبوبًا مسكنة، فأعطتها وهي تراقبها من بعيد، تعلم أن حالتها متأخرة هذه الأيام، ولن يشعر بمريض نفسي أكثر من شخص مر بفترة مرضية مرهقة وشعر بمرارة التعب النفسي، رأى نظرات الشفقة بعين الجميع وسئم من وصمة العار التي ستداهمه طيلة حياته، وقفت وراء الباب تنظر من الفتحة الصغيرة على نور الماكثة أمام المرآة تبتسم باكية، تخرج شريط البرشام بالكامل، وقبل أن تتناولة بلحظة دخلت والدتها لتضربها على يدها فانتفضت من الهلع.

رويدا بأسلوب حاد جدًا:

- ارتدي ملابسك وهيا نذهب معًا إلى الطبيب، وإلا أقسم بربي سأضعك في مركز نفسي بقية سنوات عمرك.

نظرت نور إليها وشفتاها ترتفعان إلى أعلى، لم تتوقع سماع هذه الكلمات الصادمة من والدتها، فاستكملت رويدا باللهجة نفسها وأمسكتها من طرف ملابسها:

- هيا انهضي، لن أتركك لتصبحي مثلي ضحية أسرة لا تهتم بي، هيا يا نور.

نور بتعجب:

- أخبرتِني أن والديك توفاهما الله قبل ولادتي؟

نظرت رويدا إلى الحائط هاربة من الحديث، فعلمت نور أن هناك سرًا آخر لا تعرفه عن والدتها، لكنها قررت أن تصمت،

فوالدتها غاضبة ولن تسمح لها بالمناقشة. ارتدت ملابسها ونزلت إلى الطبيب مع والدتها، طلب الطبيب أولًا أن يجلس مع والدتها الجلسة الأولى وحدهما ليعرف كيف كانت طفولتها وأزمات حياتها ليمسك بطرف خيط يبدأ به العلاج، اكتفى بمجرد التعرف على نور وحدد موعدًا آخر للجلسة الثانية.

عادت ميرا مع خالد إلى المنزل، فكانت المفاجأة عدم وجود رويدا ونور، لكنهما صعدا بعدهما بدقائق، الصمت يعم المكان على الغداء بعد أن أخبرت رويدا خالدًا بمحاولة انتحار نور.

ميرا تنظر إليهم، تشعر أن وجودها غير مرغوب فيه، وقبل أن ترحل بعد تناول الطعام أخذتها نور إلى غرفتها تسألها عن كريم، فتذكرت ميرا حين كانت في المشفى، حين طلبت نور من الجميع الخروج وجلست معه ماذا قالت، وبكل براءة أخبرتها نور أنها روت له كل شيء عن علاقتها بياسر، فغضبت ميرا وتحدثت بنفاد صبر:

- ستظلين طيلة عمرك بهذه السذاجة أيتها البلهاء!

أشارت نور إليها لتخفض صوتها، فتحدثت بصوت منخفض ووجه عابس:

- من هو كريم؟ ماذا تعرفين عنه؟ كيف تثقين بشخص لا تعرفينه وتروي له تفاصيل حياتك؟ ألم تكتفي بما فعله بك ياسر؟

لم تجبها، تذكرت ما رأته في الأوراق وأخبرتها، فقررت معها إغلاق صفحة ياسر من حياتها، أما نور فكان لها رأي آخر، ترغب بالانتقام منه.

كريم يجلس على الأريكة بجوار والده يشاهد معه فيلمًا رومانسيًا، فخبط على كتفه:

- متى سأراك مع زوجتك يا ابني؟

أجاب بنصف ابتسامة:

- لا يا أبي، أنا لا أصلح للحياة، لا أصلح للحب.

روى له قصته مع هاجر والنهاية البائسة بينهما، فنصحه ألا يعطي قلبه لِسوى من/ إلا لمن يستحقه، فالمشاعر الصادقة تخترق القلوب، وقلب كريم ما زال بكرًا لم يحظَ بالحب الحقيقي حتى الآن، فالحب ما هو إلا نغمات تداعب القلب، تطرب الآذان، تنير الدنيا، تغير الشخص من حالة مزاجية بائسة إلى شخص مرح يحب الحياة، يرغب بالعيش مرة أخرى حياة جديدة مع حبيبه كي يكون في ذاكرته حصيلة من الذكريات الجميلة التي تجعله يقوى على العيش سعيدًا.

*****

نور بصحبة والديها في عيادة الطبيب النفسي بانتظار الإذن بالدخول، ولكن حدث شيء أربك نورًا ووضع خالدًا في موقف حرج، وظهرت عليها علامات الإرهاق النفسي والتوتر.

النجوى: شدة الوجد ومناجاة طيف الحبيب.

والوَجد: يُعتبر من إحدى مراحل الحب المتطورة، ويدلُّ على مداومة التفكير في المحبوب، وعدم القدرة على نسيانه.

حين تعشق، ستجد عقلك مكبلًا وقلبك هو من يتحكم في نظراتك، همساتك وتصرفاتك، حتى الدمع يسقط من القلب، فما أقسى الحب حين يكون لمن لا يستحقه!

الفصل الثامن عشر

دخل رجل خمسيني العيادة، وبعد دقائق معدودة دخل شاب يلهث أنفاسه وفي يده زجاجة ماء، نظرت نور إلى الباب ووضعت يدها فوق فمها وبتعجب رفعت حاجبيها:

- كريم!

بعد أن ألقى السلام على خالد ورويدا، عرفهم بوالده وسألهم عن سبب زيارة الطبيب، فارتبكت نور وفكرت لدقائق ثم قالت بسذاجة:

- أنا مريضة.. تعلم، حكايتي مع ياسر أثرت عليّ كثيرًا.

فنظر إليها والدها ووجدها مرتبكة تهز قدمها بقوة وتقضم أظفارها، تتحدث بغضب داخلي، ترغب في كسر الأرض بقدمها، لم تشفع لها هذه الحالة، نظر إليها والدها بتوعد وجاء دورها، فدخلت إلى الطبيب، سألها عن اسمها فأجابت:

- نور.

الطبيب:

- كم عمرك؟

نور:

- ٢٦ عامًا.

- الحالة الاجتماعية؟

- عزباء.

الطبيب:

- ما هو ترتيبك في الأسرة؟

فأخبرته أنها وحيدة وليس لديها إخوة.

- أولًا، لمَ ترغبين في العلاج؟

فأجابت بحنق:

- لست مريضة! أمي هي من ترى ذلك.

الطبيب:

- لست مريضة.. بل من الممكن أنك تعانين من اضطراب نفسي وتحتاجين إلى مساعدة، وهذا ليس خطأ.

بعد أن اتفقا على أن تروي له كل ما يؤلمها، وكل شيء تسبب بألم نفسي لها منذ طفولتها، طلب منها أن تتحدث عن طفولتها:

- هل كنتِ تعانين من شيء؛ ظلم، قهر، انطواء، عنف...؟

- لم يتقبلني أحد! أنا أقل من الجميع.

سألها لمَ ترى نفسها بهذه الصورة، لم تجب، فقط رفعت شفتيها إلى أعلى، ثم أخبرته أن كريمًا أيضًا كان وحيدًا وتقرب منها حتى أصبح صديقها الوحيد. لم يسألها الطبيب من هو كريم، فهو

يرغب أن يسمع منها أكبر قدر من المعلومات.

لاحظ الطبيب ارتباكها، فنهض من مقعده وجلس على الكرسي المقابل لها، أمسك المزهرية ورفعها ثم وضعها ثانيةً في وضع جديد، سألها:

- تبدو أجمل، أليس كذلك؟

ابتسمت، اعترفت له أنها كانت تتمنى منذ فترة طويلة أن تتحدث مع شخص لا يعرفها، تجمع ما بداخلها من قسوة البشر وتلقيه على عاتق شخص آخر، ثم تمحو كل ما قالت كي لا يتذكره، أو ترويه لشخص فاقد ذاكرته وهويته، أو تقتله بعدها بلحظة! فهي لا تعطي أمانًا لأحد رغم تلقائياتها المتفانية، لكن في جعبة الذكريات أمورٌ لم تخرج من قلبها أبدًا، مسلسلة بقيد الخوف الذي يسطو على حياتها، فاتفقا على شيء ما تفعله مؤقتًا حتى تتأكد أن هذا الطبيب يستحق ثقتها، اتفق معها أن تدون ما تريده في ورق ثم تمزقه وتشعل به نيرانًا لتتخلص منه تمامًا، وبذلك تكون أزاحت همَّ الخوف من البوح لأي شخص على وجه الأرض بما يدور بخلدها، ولكي تثق به قال:

- أخبريني بشيء ما لا يعرفه أحد سواكِ، وإذا أخبرتُ أي شخص في الكون فلا تثقي بي أبدًا، فأنا أقسمت أنني سأحفظ أسرار مرضاي.

فأخبرته نور وهي تتمالك أعصابها كي لا تبكِي، تصارع خوفها ورغبتها في الحياة والعيش، ارتعدت شفتاها:

- ما زلتُ أحب ياسرًا، كم أتمنى أن أرتمي بأحضانه، ألومه على ما فعل بي، لما وجدت الأمان في صحراء جرداء مملوءة بالأفاعي، قتلني بقسوته، قتل كبريائي، هشم كرامتي، ورغم كل ذلك أعشقه، إذا اعترفت بمرضي سأقول أنا مريضة به.

وعدها الطبيب أن هذا السر لن يخرج إلى شخص ثالث بينهما. خرجت من الغرفة وهي تكفكف دمعها ودخل والدها يسأل الطبيب، هل هي مريضة بالفعل أم هذه مجرد فترة وستمر؟، فصدمه الطبيب بأن ابنته تعاني من حالة اكتئاب حادة ولديها قلق وتوتر منذ طفولتها، تحتاج إلى المساعدة والاحتواء والمراقبة طيلة الوقت، أخبر خالد الطبيب أنه أعطاها إجازة طويلة من العمل، لكنه طلب أن تعود إلى العمل في أسرع وقت، وتُكلَّف بأعمال كثيرة كي لا تجد وقتًا للتفكير. انتهت الجلسة ودخل كريم مع والده الذي اقترب من عيش حياة طبيعية مع والدته، وبدأ يطمئن أن كريم حقًّا ولده بدأ يحب الحياة، يرغب أن يرى كريمًا سعيدًا.

*****

خرج خالد من غرفة الطبيب عاقدًا حاجبيه، نور إليه من خلف نظارتها السوداء، يتمكن الخوف منها، تسأل نفسها برعب: هل أخبره الطبيب أنها ما زالت تحب ياسرًا؟

أخذها معه إلى الشركة، بعد أن رحب الجميع بها بعد فترة غياب لا بأس بها، دخلت مكتب والدها وجلست أمامه، خالد

بغضب:

- إلى متى ستظلين مكشوفة أمام الجميع؟، كلما رأيتِ شخصًا أيًّا كان تروين له تفاصيل حياتك دون توخي الحذر؟! أما إذا قال أحد منا عنك شيئًا أو جرحك وتحدث عن خصوصياتك تغضبين كثيرًا!

أشارت بيدها إليه كي يصبر قليلًا، وبعدم اهتمام قالت:

- هذا طبيب، ظننته لم يفشِ سر مريضته!

قال بنفاد صبر:

- أقصد كريم، لمَ أخبرتِه بتفاصيل علاقتك مع ياسر؟ ولمَ غضبتِ حين كان معنا بالمكتب وتحدثت عن ياسر أمامه؟ بأي مكيال تَزِنين الأمور يا نور؟ هذا شاب، كيف سيراكِ الآن؟ لن يفهم أحد طيبتك وتصرفاتك البريئة.

صمتت قليلًا تفكر، إن ما فعلته كارثة تستحق الاعتذار، لكنه لم يقبل اعتذارها، هو يريد ابنته مسؤولة عن تصرفاتها، ليست دُمية يحركها قلبها.

اتفق معها أن تعود إلى العمل من بداية الأسبوع، فشعرت بالسعادة قليلًا.

*****

ذهبت إلى مكتب كريم، جلست أمامه لتسأله عن أحوال العمل في فترة غيابها وتخبره بعودتها، لكن لم يكن هذا السبب الحقيقي وراء ذهابها إليه، سألته لمَ كان في عيادة الطبيب النفسي؟، فأخبرها أنه صديق والده ليس أكثر، رفعت حاجبيها وهزت رأسها غير مقتنعة، فليس من المنطقي أن يقابل الطبيب أصدقاءه في عيادته، تذكرت كلمات والدها وهو يحذرها من برائتها وأن ليس كل شيء يمكن أن يقال، عادت إلى مكتب والدها تطلب منه بعض النقود، وأخذت ميرا لتساعدها في شراء ملابس جديدة فوافق، ولكن حدث ما لا تتوقعه بعد أن دخلت محل الملابس.

*****

العشق: فرط الحب وعجب المحب وهو مختلط بالشهوة.

مهما هيمن عليك العشق، كن حذرًا كي لا تقدم تنازلات قد تندم عليها يومًا ما، فمن يحب يحفظ حبيبته في قفص زجاجي كجوهرة ثمينة كي لا يعاقبه ربه بفراقها.

(من تعجل شيئًا قبل أوانه عُوقِب بحرمانه)

الفصل التاسع عشر

آسيا تختار ملابس جديدة بصحبة صديقتها، ولأول مرة تتقابل مع نور وجهًا لوجه، يريان بعضهما بعضًا في الصور فقط، تلاشت نور ووجودها وبدأت باختيار ما يناسبها، همست في أذن ميرا:

- هذه آسيا خطيبة ياسر.

ثم ضحكت بسخرية: رحمه الله.

رفعت نور شفتيها إلى أعلى وشهقت، ميرا فتحت فمها وتظاهرتا بعدم الاهتمام، لكن آسيا لن تضيع هذه الفرصة لتثبت لحالها أنها انتصرت على نور، ذهبت إليها ورفعت وجهها إلى أعلى، قالت بغطرسة وهي تشير بإصبعها إلى نور:

- نور مندور، أنتِ حقيقي أجمل مما توقعت، فالصور أحيانًا تكون ظالمة بإبراز جمال الملامح.

انفعلت ميرا:

- حقًّا آسيا، لديك حق، فصديقتي أجمل فتاة في الكون.

أشارت بإصبعها فوق فم ميرا:

- لا تتحدثي، لم يطلب منك أحد رأيك.

انفعلت نور وأنفاسها تتهافت:

- أبارك لك على أخذك بقاياي، هنيئًا لك بالمخادع الكبير.

ضحكت آسيا بسخرية:

- بقاياكِ! أي بقايا حبيبتي؟ فحبيبي ادَّعى الموت كي يتخلص من وجودك في حياته.

نور بثقة صفقت بيدها:

- وكان الدور الأكبر لكِ أيتها المؤلفة البارعة، أنتِ من أخرجتِ القصة، أما أنا فعوضني الله برجل بمعنى الكلمة، ليسَ مدعيًا الرجولة.

أمسكت بيد ميرا، خرجت من المحل وهي تضع يدها فوق رأسها:

- شاابوه آسيا!

صمتت آسيا تمامًا، تفكر كيف عرفت نور أنها هي من خطط لياسر كي يتركها.

نور منكسرة، مقهورة، لكنها مجبورة قليلًا مما قالته، بعد أن هدأت جلست على إحدى الكافتيريات تحتسي كوبًا من القهوة، فنظرت لها ميرا تسألها لمَ كشفت لآسيا أوراقها، أنها قرأت كلام ياسر معها.

نور تلوم حالها:

- يااا ربااه! متى سأكف عن التسرع؟، بالتأكيد لن يسكت ياسر حين يعلم بذلك، سيفضحني وهو يمتلك ما يساعده في ذلك، لديه صور عديدة لي ويعرف تفاصيل حياتي.

طلبت منها ميرا أن تهدأ قليلًا وتفكر بهدوء، فمن الممكن أن تظن آسيا أن هذا مجرد توقع من نور ليس أكثر، لكن الخوف تملك منها.

*****

لم تبتَع شيئًا، عادت إلى المنزل، تفكر في رد فعل ياسر حين يعلم أنها رأت آسيا، نظرت إلى يدها وهي تتخيل يده تلتف حولها ويقبلها بلطف كما كان يقبل يد نور.

سألت حالها، هل يطلب منها تنازلات كثيرة كما كان يفعل مع نور؟ يبتزها بدافع الحب؟ يطالبها أن ترسل إليه صورة لها وهي بملابسها المنزلية وإذا رفضت يعتبرها لا تحبه ولا ترغب بإسعاده؟ تسأل نفسها كثيرًا، ما الذي يميز آسيا عنها؟ هل يتصل بها أم ينتظر منها الاهتمام كما كان يفعل معها؟ هل قال لها إنها تتسول لتحظى بحبه أم هي قوية ستكسره كما كسرني.

*****

أنهت آسيا جولتها ثم اتصلت بياسر ليأتي إليها، وفي طريقهما إلى منزلها أخبرته أنها تقابلت مع نور مندور، فرأت بعينه لهفة وفضول حين سألها بعين دامعة:

- كيف أصبحت الآن؟ أين رأيتِها؟ ماذا دار بينكما؟ هل تحدثتما عني؟

ترجلت من سيارتها وهو وراءها، وقفا أمام وجه السيارة، أخبرته أن نور جميلة حقًا، أجمل من كل الصور التي رأتها لها من قبل، فتنحنح كأنه فقد صوته وهمس:

- نعم، هي جميلة.

تصرفت آسيا بجمود، فخبطت قدمها أرضًا وسألته بغضب :

- ولمَ أنت متأثر إلى هذه الدرجة؟ أليست هذه نور المنطفئة التي ادعيت الموت لتتركها؟

بهدوء قاتل قال:

- إن لم تظهري في حياتي لما تركتها.. كانت جميلة بريئة.

غضبت آسيا واحمر وجهها:

- أنت من ظهرت في حياتي، طلبت مني أن أنير حياتك، أنت من فعلت ذلك، لمَ تتهمني بذلك وتُحملني ذنبَ تركك لها؟ لستُ قاسية مثلك أتظاهر بذلك، لكنني لست مثلك ياسر، أنت أقسى مخلوق في الكون، وأنا بانتظار لحظة كسرك لي، فمن يقوى على إنسان ضعف أمامه ويعتبر حبه مذلة ويتركه في منتصف الطريق

دون النظر إلى عواقب فعلته، من الممكن أن يدهس أي شخص مقابل أن يعيش سعيدًا.. الأنانية هي شعار حياتك!

حاول ياسر تهدئتها، فربت على كتفيها برفق وطلب أن تهدأ كي يحاول أن يقرب وجهات النظر بينهما، فأقسمت أنها ستنسى الأمر إذا وجدت سببًا مقنعًا لتصرفه واهتمامه برؤيتها نور، أما زال يحبها، لكنه لم يحبها من الأساس، وكان رد ياسر صادمًا بالنسبة إليها حين قال...

*****

الماضي: كطيف الإنسان هو، ماضيه يلاحقه، يلازمه في كل خطوات حياته، فلكل منا زلات وأخطاء وإصابات نفسية لم تشفَ بعد، فلا تستهِن بماضيك، كن حذرًا من واقعك كي لا تندم حين يصبح ماضيًا.

الفصل العشرون

أخبرها ياسر أنه ينتابه شعور بالذنب حين يتذكر نورًا وطيبتها، صمتها وتقبلها لأمور كثيرة قاسية، والطريقة التي تركها بها، حين يفكر أن الله لن يتركه يفلت بفعلته، حين فتح رسائلها بعد أن ظنت أنه قد مات وقرأ كلماتها التي تنعيه بها فكتبت:

«حبيبي، لا يحق لي أن أعيش الآن بعد أن رحل قلبي معك، لماذا تركتني أتخبط في هذه الدنيا؟ رغم البعد، القسوة رغم غيابك وقلة اهتمامك، كنت أطمئن حين أراك بجواري، أو حتى أتأكد أنك في المنطقة نفسها حين كنت تسافر مع أصدقائك، كنت أشعر بالغربة والظلمة وكأن روحي انتقلت إلى مكان بعيد، أما الآن، كيف سآكل وأنت لم تأكل؟ كيف حبيبي؟ كيف سأتنفس وأنت بعيد عن الحياة؟ أرجوك خذني إليك! يا رب عجل بموتي لألحق بحبيبي، فلا حياة لي من دونه ولا حياة له من دوني، أعلم أنه أحيانًا يشتاق إلى وجودي...»

أشارت إليه آسيا كي يصمت وتحدثت برفع حاجب:

- حقًّا! أحيانًا تشتاق إلى وجودها؟

أجاب بثقة:

- لا لا أبدًا.. أشعر بالذنب تجاهها، فلنور مكانة في قلبي، كنت فقط أشعر معها أنني إنسان ذو أهمية وهناك من تعتني بي وتهتم

بوجودي، أما معك، فأنا في منصب مرموق، ولدي نجاحات في عملي تعوضني عن كل شيء، ومعي أميرة مثلك يحسدني الجميع عليها.

ركبت آسيا السيارة بعد أن أنهى حديثه وهي غير مطمئنة له، لكنها مثله تعشق امتلاك الأشياء التي لا تخصها، فمجرد وجود الخطيب السابق لابنة مندور معها هو بمثابة نجاح كبير في حياتها، لم تتنازل عن غرورها وتتخلَّ عنه خوفًا من أن يعود إلى نور، وكي تنفذ خطة والدها الذي افتعلها ضد مندور.

*****

كريم يتحدث مع والده عن نور وعائلتها، فضحك قائلًا:

- ماذا لو ارتبطت بنور يا كريم؟

أشار كريم إليه بإشارة لا.

- نور في قلبها رجل آخر، لن أنكر إعجابي بها، لكن ليس كل ما نتمناه نحظى به!

بعد أن روى له حكايتها مع ياسر، لم يوافقه والده الرأي، فهي في نظره ضحية شاب بارع في كسر القلوب، كل ذنبها أنها أحبت خطيبها حبًا جمًا، تمنت إرضاءه، وكانت النتيجة ضياع قلبها في مغارة مظلمة من القسوة.

كريم طيلة عمره يتمنى أن يكون الرجل الأول والأوحد في قلب التي ترتبط به، ومن الصعب أن يتنازل ويقبل بنصف قلب، لكن ليس مقياسًا أن تمنع نفسك من الارتباط بفتاة لها ماضٍ، فهو أيضًا له ماضٍ مع هاجر، إن لم يثق في أخلاقها فلن يرتبط، أما اللوم على الوقوع في الحب هو أقسى ما يكون.

وبعد حديث مطول، أقنعه والده أن يتقرب إليها لعله يشعر تجاهها بالحب، فهي فتاة جميلة رقيقة ذات حسب ونسب، اقتنع كريم بحديثه فقرر أن يفكر في الأمر.

*****

وصلت آسيا وياسر إلى المنزل، وقبل أن تصعد إلى الشقة أشارت إلي وهي تخبط رأسها بيدها:

- نسيت أمرًا هامًا، نور تعلم أنني أنا من خططت لك طريقة تركك لها.

خبط ياسر على السيارة غاضبًا وأصر أن يتقابل مع نور ويفهم منها لمَ تفتش وراءه وتفتح دفاتر الماضي، انتهى الأمر، لكن هل بالفعل سيجرؤ على مقابلتها؟ ستسمح له هي ووالدها أن يدخل حياتهما ولو للحظة ثانيةً.

*****

نور تجلس في مكتب والدها وتتحدث بصوت جهوري:

- لمَ تركتني أنا أحبك؟ ما الذي يميزها عني؟ تكلم! ظننتك تركت الحياة، لكن في الحقيقة، أنا من تركت الحياة وراء ظهري حين ارتبطت بشخص مثلك، تنازلت وقبلت إهانتك وقتلك كبريائي، جرح مشاعري، غضبك دون أسباب، تركتني بمنتهى القسوة حين أخرجتْ لك هي المسرحية الشائقة التي ستمثلها، فأنا ساذجة صدقتك، وللأسف ساعدك والدي وصديقتي بإخراجها بشكل جيد.. انطق، لمَ تركتني؟

فتحت ميرا باب المكتب وكانت المفاجأة!

انقضت عليها نور وخدشت وجهها وهي تصرخ:

- سأقتلك يا ياسر، سأقتلك!

جاء والدها مسرعًا حين سمع صوتهم، هدأت نور بعض الشيء بعد أن صاح بها والدها:

- نوررررر، اصمتي تمامًا!

وميرا تردد والدمع يتلالأ في عينيها، ليس هناك أحد في الغرفة، فتحدثت بخوف على صديقتها:

- مع من تتحدثين؟

وكأنها استيقظت للتو، تتفقد أرجاء الغرفة، تقسم لها أنه كان هنا كان أمامها، لن تكذب، هي بالفعل كانت ترى طيفه، أتت لها بكوب من عصير الليمون كي تهدأ قليلًا.

خالد يحاول فهم ما يحدث وقلبه يؤلمه على ابنته المسكينة، فأخبرته ميرا أنهما تقابلتا بالصدفة مع آسيا سمرة، فقال بصوت يشبه الهمس:

- حسنًا، سأتصرف.

اتصل فورًا بطبيبها النفسي يخبره بتطورات حالتها، فحدد موعدًا قريبًا للجلسة التالية، نور في قمة خجلها مما فعلته، كان صوتها واضحًا تصرخ بشدة، وازداد حين سألها كريم عن صوتها العالي ومع من كانت تتشاجر، فلاجت عيناها وتذكرت حديث والدها أن ليس كل شيء قابل للنقاش، فقالت وهي شاردة:

- مع ميرا.

لم تعلم أنه سأل ميرا قبل أن تدخل الغرفة عن سبب غضب نور، وحين خرجت كانت شبه مفزوعة ووجهها غارق بالدماء من خدشات نور، صمت على مضض، لكنه تردد بالتقرب إليها، ها هي تكذب!

الرجال يكرهون الكذب حتى لو كان لمصلحتهم الشخصية، أما هم فيحل لهم الكذب متى يريدون، ألم يكذب هو حين قال أن د. إيهاب صديق والده؟ تقبلت هي الأمر ولم تأخذه بهذه الصورة، أما هو فكيف يتنازل عن كذبها ويقبله؟! وفي فترة الراحة، أخذتها ميرا لتناول الغداء وكريم معهما، بعد أن ذهبت إلى الصيدلية داوت وجهها وأخفت ما تبقى بالمكياچ، نور تبدو منهكة، حول عينيها سواد قاتم بعد بكائها، ولأول مرة لم تهتم بمظهرها، أكلت قليلًا ثم

جاء والدها ليأخذها إلى الطبيب.

*****

في غرفة الطبيب..

الطبيب:

- أكملي حديثك عن طفولتك، لا تخافي، لن أخبر أحدًا، أنا طبيبك وشفاؤك دليلُ نجاحي في عملي.

فتحدثت وهي تستند إلى الشيزلونج.

كانت في المرحلة الابتدائية، نزلت لتشتري طعامًا لوالدها من المتجر المجاور للمنزل، وهناك تقابلت مع رجل طويل القامة عريض المنكبين، وجهه ممتلئ بالشعر الأسود، وبشرته سوداء، طلب منها أن تسير بجواره بهدوء، ففعلت ذلك وهي تنظر إلى كل من حولها لينقذها أحد مما سيفعله بها، لكنه أقسم أنه سيذبحها إذا نطقت كلمة، مشَت كثيرًا معه حتى آلمتها قدمها، طلبت منه أن يحملها فرفض وأخرج سكينًا من جلبابه البني القصير المتسخ ووضعها على رقبتها، فجحظت عيناها هلعًا، أخذ الحُلي التي أذنها وتركها، ذهب لشراء الخبز فجرت بسرعة، طرقت منزل أحد السكان واختبأت فيه وجسدها يرتجف من شدة الخوف، فأخذها إلى أقرب مسجدٍ ليحاول أن يجعلها تتحدث، تتوقف عن الخوف، الصمت، البكاء وتخبره باسمها، فبعد أن هدأت قالت له برعب:

- أنا ابنة عائلة مندور.

فأخذها إلى والدها الذي كاد أن يموت خوفًا من فقدها، ووالدتها التي تجري يمينًا ويسارًا بحثًا عنها، منذ هذا اليوم وهي تخاف من كل شيء على وجه الأرض، كل الكائنات الحية.

لم يكن هذا الموقف الوحيد الذي جعلها تنظر حولها كلما سارت في طريق، تنظر وراءها خوفًا من أن يتتبعها شخص ما ويؤذيها بأي شكل من الأشكال، تذكرت حين كانت تمزح مع والدتها وتشعل الكبريت وهي تهددها بحرق الشقة، والدتها تضحك بشدة فأشعلت نور الكبريت وألقته على الأريكة البنية المغطاة بكساء أبيض، فاشتعلت النيران بالمنزل وساد الصراخ أرجاء المكان، وهي متمسكة بدميتها تحتمي بها خوفًا مما سيفعله والداها بها، غضب والداها منها، حينها دخل خالد غرفتها بعد إخماد الحريق بعد أن عنفها بالحديث، أخذها بين ذراعيه ومنذ هذه اللحظة لم تشعل عودَ كبريتٍ واحدًا، ترتعب من النيران، حتى بعد أن باتت فتاة على مشارف عامها الثلاثين.

سألها الطبيب:

- هل هناك أشياء أخرى تتذكرين أنها تسببت لك بألم وزرعت الخوف بداخلك؟

هزت رأسها بالإيجاب.

حين كانت في منزل جدها مندور، رحمه الله، كان في الشارع نفسه، وفي طريقها للعودة قابلها أحد الجيران، فأوقفها وطلب منها أن لا تعود إلى المنزل، وأخذها لتحتسي عصير القصب معه،

فذهبت على مضض، وحين عادت وجدت والدها ورجالًا يلتفون حوله أمام الشقة ووالدتها تحملها النساء، لم تفهم شيئًا، كانت صغيرة، ظنت أن والدتها تُوفيَت، لكنها صعقت بماس كهربائي حتى انكتمت صرخاتها، تأخذها الكهرباء إلى أعلى وتلقيها أرضًا حتى تمزقت ملابسها، ولله الحمد تم إنقاذ والدتها، لكنها أصبحت تخاف من النيران والكهرباء والسير وحيدة ترك والدتها كي لا تصاب بمكروه، وكأن الكون اتحد عليها ليصبح شعار حياتها هو الخوف.

أنهى الطبيب الجلسة دون أن يعلمها بحديث والدها معه، وكتب لها بعض الأدوية كي تتغلب على الهلاوس البصرية والاكتئاب الحاد.

*****

صوت رنين لهاتف ميرا، رقم غير مسجل، مرات عديدة وهي في مكتب خالد، فأجابت نور، وبعد أن سمعت صوت المتصل، ألقت الهاتف وازدادت دقات قلبها، تهافتت أنفاسها، فمن المتصل؟!

*****

الضعف: هل سقطت فريسة لقلبك من قبل؟

تحكم بك، فرأيت شخصًا لا تعرفه، يتصرف وفق ما يريد، تنظر إلى نفسك بلوم، لماذا أقبل بهذا؟ فأنا لست هذا الشخص، بالتأكيد كثير منا سقط في هذا الخطأ وندم كثيرًا.

الفصل الحادي والعشرون

أغلق ياسر الخط واتصل مرة أخرى، كانت ميرا قد عادت للتو، فنظرت إلى ميرا بتعجب وأمسكت هاتفها، فقال ياسر بغضب:

- كيف حالك يا ميرا هانم؟ أنا ياسر.

حدقت عيناها:

- يااااسر! كيف تجرؤ على الاتصال بي؟!

تعمدت فتح سماعة الهاتف لتسمع نور حديثه، قال بلهجة قاسية:

- أخبري تلك المريضة أن تبتعد عني وتكف عن التجسس. انتهى الأمر.

أغلق الخط وترك نورًا تأكلها نيران الغضب والألم مما قال، فهي حقًّا الآن مريضة وتتناول العلاج، لم تتحدث أو تبكي، ذهبت إلى البوفيه لتطلب كوبًا من النسكافيه وآخر لميرا، هي بانتظار تحضيرهما، جلست أرضًا، ترتفع شفتاها إلى أعلى، دموعها تأبى النزول، رآها كريم وهو قادم يدندن:

(انسيه، متفكريش تاني فيه، اشغلي نفسك عنه بأي حاجة، بطلي تحبيه).

حدقت به، فكلمات الأغنية تتماشى تمامًا مع ما يحدث لها، خافت منه وكأنه اخترق عقلها، صمت وأعطاها يده كي تنهض، طلب منها أن توافق أن يأخذها إلى الكافيتريا، رفضت خوفًا من أن يغضب والدها، فقال كريم بثقة:

- أمر بسيط.

ثم اتصل بخالد يطلب منه أن يأخذ نور إلى الكافيتريا فقط نصف ساعة، فضحك خالد ووافق، فهو يرغب أن تخرج من تلك الحالة، جلست نور على مقعد موازٍ للحائط وكريم أمامها، هدأت بعض الشيء. كريم يحاول التودد إليها ويحادثها برقة:

- أنتِ جميلة يا نور، وأي شخص يتمنى وجودك، أرجوكِ تأكدي من ذلك.. مَن المجنون الذي يترك هذا الملاك؟! فابتسامتك قادرة على أخذي إلى عالم آخر، أنا معجب بك وبوفائك، شخصيتك المجنونة، ترددك، خوفك، وحتى جنونك، أرى عيوبك جميلة.

أخذها حديثه إلى عالم آخر، هل هذا الحديث يقال لها؟ كم تمنت أن تسمع الحديث نفسه من شخص آخر في مكان آخر، لكن النصيب تدخل وشاء القدر أن يبتعد بقسوته عنها، سرحت دقائق ثم كتمت دمعها وابتلعت ريقها، تذكرت حين قال:

- مريضة!

طلب كريم منها ألا تحرمه من ابتسامتها الرقيقة، دخل شاب عشريني ومعه فتاة بالعمر نفسه تقريبًا، جلس إلى المنضدة

المجاورة لهما، نظر إلى نور ثم حدق بعينيه ولاجت عيناه، لاحظت آسيا شرود ياسر وأنظاره التي لم تكف عن النظر إلى نور، ياسر بفضول:

- لم تتغير نور، ما زالت تقضم أظفارها وتنظر حولها، لكن من هذا الذي معها؟

آسيا دون إبداء اهتمام:

- بالتأكيد هذا خطيبها، نور أخبرتني أنها ارتبطت.

نهض ياسر رافعًا صوته:

- لمَ لم تخبريني؟

ذهب إلى منضدة نور وكريم، صمتت نور تمامًا حين رأته، وكأن جرح السنوات السابقة انمحى بمجرد أن رأته، لم يكن ما بينهما عشقًا، هي مستكينة أمامه، مُهانة، فاقدة وجودها وكرامتها، فاقدة نفسها، خبط على المنضدة متناسيًا وجود خطيبته، وأمسك بيد نور بعنف:

- هيا انهضي معي، من هذا؟ وكيف تسمحين لنفسك أن تجلسي معه؟

أغمضت نور عينها وهي تدمع وتضحك في اللحظة نفسها، اشتاقت إلى لمسته حتى لو كان يضربها، تحبه رغم كل شيء، وللتو صدقت أنه ما زال حيًّا.. تخبطت مشاعرها.

نهض كريم من مقعده وأمسك يد ياسر الأخرى وقال بصوت

حاد: من أنت؟ وكيف تجرؤ على التعامل معها بهذه الطريقة؟ أنت مجنون حقًا!

فتحدثت نور برعب:

- اصمت كريم، هذا ياسر، لا تصرخ في وجهه بهذه الطريقة.

تماسك كريم ثم أخذها وترك المكان، بعدما جرى ياسر وراء آسيا المصدومة من ردة فعله وتصرفات نور المريبة.

وفي طريقهما، نور تتوسل إلى كريم أن يسامحها، لم تقصد جرحه بهذا الشكل، لكنه صمتت صمتًا رهيبًا، عيناه حمراوان من شدة الغضب، وبعد محاولاتها معه تحدث معها لأول مرة بعنف وغضب:

- أنتِ لست إنسانة! كيف ما زلتِ تحبينه؟ كنتِ ستموتين بسببه، تركك وادعى الموت كي لا يراكِ. كيف أنتِ إنسانة؟ كيف تتحملين كل هذه الإهانات؟ هذا ليس حبًا، هذا ذل! ارحمي حالك، أما أنا فأرجوكِ انسي أنك يومًا ما عرفتِ شابًّا يدعى كريم.

تركها وكتب ورقة استقالته ووضعها أمام خالد وسط ذهول منه، ماذا حدث بين كريم ونور أغضبه إلى هذه الدرجة؟ لم يقبل الاستقالة ولم يرفضها، فقط وضعها قيد الانتظار حتى يفهم الأمر، أعطاه إجازة أسبوعًا كي يهدأ قليلًا.

*****

عادت نور إلى غرفتها وهي تبكي بحرقة مما حدث.. كريم قسي عليها بالحديث، وياسر يبدو عليه الغيرة تجاهها، فلمَ تركها رغم وجود مشاعر ولو قليلة تجاهها؟! أخذت عقاقيرها ولم تشعر بحالها، نامت كثيرًا واستيقظت برأسها ألم لا يتحمله بشر، شاردة عن الواقع، مغيبة عن الحياة، وكأنها ضربت على رأسها بمطرقة حديدية محاطة بالأشواك، وهن أصاب جسدها، لا تعلم أن العلاج سيكون له هذا التأثير القوي، رغم كل شيء تمالكت ونهضت، تنظر في المرآة تزيل بقايا الدمع، ثم ذهبت إلى والدتها تريد أن تحتمي بأحضانها بعد أن فقدت الأمان وشعرت أن الكون في مؤامرة عليها، دخلت غرفة والدتها بعد أن طرقت الباب، واستلقت على ذراعها اليمنى تروي لها ما حدث بالتفصيل، تعجبت والدتها من رد فعل ياسر، كما لامتها على تصرفها مع كريم، طلبت منها أن تهدأ وهي ستحل الأمر، فتلجلجت قليلًا:

- أي أمر أمي! هل ستساعديني أن أعود إلى ياسر؟

فقدت والدتها أعصابها وصفعتها.

- ياسر... ياسر! ألا ترين في الكون سوى ياسر؟! لا يحبك، متى ستفهمين؟! كريم لديه ألف حق، هو فقط لديه حب امتلاك وهذا ما أثار غضبه حين رآكِ، فليكن لو كان آخر رجل في الكون لن تتحدثي معه ثانيةً، أقسم لك لو حدث ورأيتِه لأخبرن والدك، وأنت تعلمين حين يغضب ماذا سيفعل بك!

عادت إلى غرفتها نادمة على ما قالته لوالدتها، هاتفها يدق، أجابت فوجدته هو يتحدث بلطف ودلال:

- لا أصدق أنني رأيتك ثانيةً يا نور!

حاولت أن تتغلب على ضعفها وأغلقت الخط في وجهه، مما أثار جنونه، فذهب إلى خالد في اليوم التالي، منعته ميرا من الدخول لكنه دفعها ودخل المكتب بالقوة مستشاطًا غضبًا يتحدث بأسلوب مهين:

- يا خالد، إذا تزوجتْ نور هذا الشاب، سأقتلها وأقتله، تسمعني؟ لن أرحمها!

لم يكثرت خالد لوجوده، أشار بيده إلى ميرا فطلبت من الأمن أن يأخذه إلى خارج الشركة، وأيقن أن الأمر يتعلق بكريم، فاتصل به فأجاب على الفور:

- اسمع يا كريم، أحدثك بصفة شخصية، ليس بخصوص العمل، أرجوك قابلني في أي مكان بعد ساعة.

وافق كريم على الفور، وبعد ساعة انتظره كريم أمام المطعم المتفق عليه لكنه تأخر، هاتفه مغلق، اتصل بالشركة، فأكدت ميرا أنه خرج منذ حوالي ساعة ونصف، فشعر بالقلق، لكن كرامته لن تسمح أن يسأل نورًا عنه.

*****

الهيام: الجنون الخالص في الحب.

نمحو عقولنا ونتحول إلى مجاذيب، نعشق القرب، بل نُدمنه حتى لو كان يقتلنا، فالموت حينها أرحم من الفراق.

الفصل الثاني والعشرون

ارتدى خالد نظارته السوداء وخرج من المكتب متجهًا إلى السيارة، استوقفته رسالة على هاتفه، مشهد لنور وهي تبكي وتقبل يد ياسر وقدمه كي لا يتركها، تطلب منه أن يأخذ مبلغًا من المال ليبقى معها، وهو مصمم على الرحيل بحجة أنه لا يستحق كل هذه المشاعر، ولا بد أن يبتعد خوفًا من أن تموت إذا أصابه مكروه.

كم هو مخادع! يتلاعب بمشاعر بريئة لفتاة كل ما اقترفته هو إعطاؤه قلبها، فكر لدقائق بعد أن ألقى هاتفه على مكتب ميرا وذهب مسرعًا إلى منزل والد ياسر، يقسم له أنه لولا العشرة لقتل ولده وهدده بغضب:

- إن لم يبتعد ياسر عن ابنتي سيدفع الثمن غاليًا، وإذا رأى أي شخص هذا التسجيل سأرفع قضية تشهير ضده!

رجع إلى الخلف بظهره وهو يقول:

- هذه آخر مرة سأدخل هذا البيت وأوجه لك الحديث، لأنك لم تجد تربية ابنك من الأساس.

حاول الرجل أن يفهم ماذا فعل ابنه ثانيةً، لكن خالد كان في حالة لا يحسد عليها.

ما أقسى أن يرى الإنسان فلذة كبده ذليلًا أمام شخص لا يعرف للرحمة معنى!

وضع رأسه على تارة السيارة وهو يبكي بحرقة على حال ابنته، وضحكات ياسر وأصدقائه عليها التي أرسلها إليه بالفعل مع كلماتهم الساخرة من مشاعرها، ماذا لو رأت هي هذا؟ بالتأكيد ستنهار، ستتأخر حالتها، رفع رأسه على صوت أجراس السيارات التي تقف خلفه، فتذكر كريم الذي ينتظره، بحث في جيبه عن هاتفه، فلم يجده، خبط رأسه وبنفاد صبر:

- يا ألله.

ثم توجه إلى المطعم مباشرة، وحين رآه كريم قادمًا من بعيد، جرى نحوه وهو يسأل بلهفة وخوف:

- أين كنت أ. خالد؟

أخبره خالد أنه كان في مهمة لا بد من إنجازها.. سأله عن سبب طلب الاستقالة فامتنع عن ذكر السبب كي لا يغضب على نور، فأكد له خالد أنه يعلم أن لياسر يدًا بالموضوع، فحكى له كريم كل شيء وهو يسأل خالدًا بفضول:

- هل تصدقني؟ أقسم لك هذا ما حدث!

هز خالد رأسه، فهو سيصدق أي شيء بعد ما رآه، تنازل عن كبريائه وهو يقول بصوت يكاد يكون منعدمًا:

- ما جعلني أتأخر هو أن ياسرًا أرسل إليَّ مشهدًا لنور هانم يهددني به.

اتسعت عين كريم، فهل هذا مشهد إباحي؟ هل تنازلت نور عن جسدها أيضًا مقابل هذا العشق؟

استكمل خالد:

- المشهد عبارة عن استهانة بمشاعر ابنتي، يسخر منها هو وأصدقاؤه.. ما ذنبها؟ كل ما اقترفته أنها أحبته بصدق، أهذا ثمن الحب؟

جن جنون كريم، فهو يؤكد لخالد هذا ليس حبًّا، هذا ذل! نور حقًّا تحتاج إلى المساعدة، هي لا تتخيل غياب ياسر من عالمها، حتى وإن كان قد مات كما ادعى، ستعيش على ذكراه وقلة قليلة من مواقفه معها، وحين علمت أنه ما زال على قيد الحياة مفضلًا آسيا عليها، انحصرت في دائرة مظلمة وشعرت حقًّا أنها فقدته، هي ترغب بتفريغ طاقة الحب بداخلها ولم تجد أمامها سواه.

هز خالد رأسه متفقًا مع كريم فيما قال تمامًا، لاحظ أن كريمًا يهز قدمه ويحك جبهته بيده، فعلم أنه يرغب بقول شيء ما، فابتسم.

- تحدث تحدث، أعطني ما تخفيه هيا.

اعترف له كريم أنه انفعل على نور وقسا عليها بالحديث، فلامه خالد كأي أب أشفق على ابنته المسكينة، اعترف له أن ما فعله كان بدافع الحب والغيرة، لم يعلم من أين أتى بهذه الجرأة، وقال لوالدها بأنه بالفعل بدأ يشعر بالحب تجاهها، وحين لمس ياسر يدها كاد أن يهشم عظامه، فهو أيضًا لم يشعر بالحب

الصادق طيلة حياته وبداخله مشاعر كثيرة، لكنه يخفيها ليعطيها لمن يستحق، حتى هاجر لم يعطها كل الحب الذي تمنى أن يخرجه لشريكة حياته.

بعد أن تأكد خالد أن علاقته مع زميلته انتهت، اتفق خالد معه أن يحاول التقرب إلى نور هذه الفترة، لكنها ليست فترة ارتباط، هي لا تزال جريحة ولن يداوي العشق الوقوع في علاقة أخرى، حينها ستكون النتيجة انهيار العلاقة رأسًا على عقب، لأنها مجرد تحصيل حاصل، وحين يدخل المرء في علاقة، لا بد أن يتأكد أنه محا من قلبه كل العلاقات السابقة محوًا أبديًا ويبدأ بمشاعر جديدة وكأنه مولود للتو على يد عشيقه، هذا هو العشق الأبدي. أخذه معه إلى المنزل ليصلح بينه وبين نور بعد أن مزق ورقة استقالته وهو يمزح:

- تُغضب نور وتستقيل! من أين جئت بهذا الجنون؟

*****

وفي جلسة نور الثالثة مع طبيبها، تحكي له تفاصيل كي يساعدها، ترغب بالتوقف عن تناول العقاقير، تستكمل قصتها:

- وأنا في المرحلة الجامعية، تعرفت على ميرا، في البداية لم أتقبلها، لكن مع الوقت اعتدت المكوث معها، فأنا أخشى أن أعود إلى المنزل بمفردي، سنوات قليلة وحدثت ثورة يناير، فقررت أن أُظهر شجاعتي حين طلبت ميرا أن أذهب معها إلى هناك، فهي

فقدت عائلتها وتذهب إلى هناك كي تنعم بالشهادة لتتخلص من وحدتها.

ونور أيضًا، كانت تظن أنها فقدت ياسرًا والموت سيرسلها إليه. أشار الطبيب إليها أن تتوقف:

- لكن أهلك يعيشون معك، صديقتك تحبك، لمَ اخترتِ الموت؟ ألم يوجد في الدنيا سوى ياسر؟ أليس هناك علاقات في الكون سوى العلاقات العاطفية؟

تعترف أنها بغياب ياسر غاب النور عن طريقها كمصباح يرشدها طريقها، وحين رحل أغلق قلبها بمفاتيح ذهبية مختبئة فقط بقلبه.

وفي الميدان، تقابلت مع كريم وشعرت به حين توفي تامر صديقه، وفي مراسم العزاء، تخيلت أنها جنازة ياسر الذي ما زال على قيد الحياة، حتى الآن كانت تظنه توفي، كما قال لها أبوها. استكملت وعيناها تدمع:

- وتركني أبكي وأمزق ثيابي وأحطم زجاج مرآتي وهاتفي، أصرخ بأعلى صوت، لكنه كان مصممًا تمامًا ألا أحضر مراسم جنازته وألا أراه للمرة الأخيرة، أغلق باب غرفتي وتركني أموت بها، رأيته يومها يجلس على حافة المضجع، يلومني على تركي له في ظلمة القبر، احتضنني بقوة وهرب، لم أرَه من يومها، حتى رأيته منذ أيام.

أدرك الطبيب أنها وصلت معه إلى مرحلة الوصب، وهي أقسى مراحل الحب، حين تصل إلى شدة الألم.

سألها الطبيب بدهاء:

- ألا تخافين من ميرا صديقتك؟

هزت رأسها بالإيجاب، ولفت يدها حول قدميها، وقالت وهي ترفع شفتيها إلى أعلى مستعدة للبكاء:

- نعم، أخاف أن تقتلني في بعض الأحيان.

سألها عن السبب.

ميرا تصرفاتها في الفترة الأخيرة غريبة بالنسبة إلى نور، كيف تخفي عنها ارتباطها وتعرف بكذبة ياسر وتوافق على رؤيتها مجروحة، بل مذبوحة أمامها، كيف وكيف، وضعت حولها علامات استفهام، شوهت صورتها أمامها، لكن حل هذا اللغز الخاص بإخفاء معلومات عن ياسر هو فقط (الخوف)، تخاف عليها من نتيجة ما تفعل بحالها، لكن موضوع إخفاء ارتباطها جعل الطبيب يتناقش مع نور عن سبب إخفائها، فلم يقتنع لكنه سألها:

- هل هذا سبب كافٍ لتخافي أن تقتلك؟

أشارت لا.

فهي لا تشعر بالأمان في أي مكان في الكون بعد وقبل خروج ياسر من حياتها، أنهى الطبيب جلسته بطلبين، أحدهما جعلها تتعجب، والآخر جن جنونها، فماذا طلب منها؟!

قد يكون أمامك خيار يخلصك من متاعبك بلحظة عوض من اللّه، عن كل ما فاتك، لكنك معصوب العينين، لا ترى سوى ما يشير إليه قلبك، وكأنك مجبر على السير وراءه، تقتل حالك بكل محاولة لإرضائه، وأنت راضٍ كل الرضا عن هذا الجرح، وكأنك تمسك بسكين حادة تجرح نفسك وتلملم الجراح وتعيد فتح الجرح من جديد.

الفصل الثالث والعشرون

طلب منها أن تأتي بمفكرة وتجيب على هذا السؤال عشر إجابات.

- اذكري عشرة أسباب تجعلك تحبين نفسك.

الطلب الآخر، هو ألا تحادث ياسرًا مهما غلبها الشوق! تغير مسار تفكيرها فورًا كي لا تنتكس، تعجبت لأنها حقا تفكر في اللحظة ألف مرة، تريد أن تحادثه وتعود إليه.

عادت إلى المنزل، جلست إلى المنضدة وارتدت نظارتها الخاصة بالقراءة والكتابة، رفعت القلم ووضعته في شعرها، فكرت قليلًا، أنزلت قلمها ثم كتبت: لم أحب نورًا؟ سأكتب أسباب كرهي لها؟ لم أحبها من الأساس!

- تضحي لأجل من حولها دون أن يتنازل أحدهم ويعطيها جزءًا قليلًا من حقها.

- لا تسمح لحالها أن تغفو بوجود والدها والدتها أو صديقتها، كي لا تضيع لحظة بعمرها دونهم.

- تحب بصدق وتتحمل إهانات لن يحتملها بشر.

- تكتم صرخاتها الداخلية، تسمع ضجيج قلبها، وتكتفي به وهي تكتم صوت العالم من حولها.

- تنهار من جرحهم مشاعرها، ثم تضحك أمامهم وكأن شيئًا لم يكن.

- تظن الجميع معها، وتكتشف فجأة أن بعض الظن إثم.

- تتحمل غيرة ميرا منها وتتقبل عيوبها، لأنها ليس لديها صديقة أخرى.

- تحب والديها حبًا مرضيًا، وستموت إذا فجأة لم يعد أحدهما في الحياة.

- وحيدة وحيدة وحيدة...

ثم كتبت بخط كبير ملأ الصفحة: نور الوحيدة ستظل كما هي، لا ولم ولن أحبها أبدًا!

طوت صفحتها وكتبت موجهة حديثها إلى ياسر:

إليك يا أقسى قلب في الكون، أكتب إليك بعيني الغارقة بالدمع ويدي التي تموت كل لحظة شوقًا لخاتم ارتباطي بك.

إليك يا من قسوت حتى حطمت جبال كبريائي وجعلتني ذليلة أمامك.

إليك يا من جعلني أقولها له بكل أسف، بسببك أنا مريضة نفسيًا.

أخبرته أنها لن تسامحه حتى لو بكى أبد الدهر، حتى لو عاد ثانيةً يقبل يدها كما فعلت هي، ستعود إليه بكل سهولة لترضي

رغبتها ببقائه، وبداخلها ألف سبب وسبب أن تكرهه، بعضها يرفض الخضوع لحبه والبعض الآخر يجبرها على البقاء. ماذا تفعل وهي في قمة حيرتها؟ فكلمات كريم أربكتها، جعلتها تفكر ألف مرة، أهي تستحق هذه المشاعر أم هو مشفق على قلبها؟

قطع خلوتها والدها، دق باب غرفتها فأخفت أوراقها في أقل من لحظة، طلب منها أن يتحدث مع نور الصديقة، ليس الابنة، فرحبت بذلك بابتسامة رقيقة أظهرت أسنانها الجميلة، فأخذ مقعدًا وجلس بجوارها يسألها عن حالها ومدى راحتها في العلاج مع الطبيب، فتحدثت باكية:

- العقاقير يا أبي تشعرني أنني مكبلة، تثقل لساني ورأسي، تجعلني أنام دون أي وعي، وكأنني لم أنم منذ سنوات كثيرة، أرجوك أريد أن أتوقف عن أخذها!

لم يتحدث، ضمها بقوة، فهو يعلم أن من غير المنطقي أن توقف العلاج فجأة، فإذا تعافت وقرر الطبيب ذلك فسيقلل كمية العلاج بالتدريج كي لا يتأثر جسدها بسحبه مرة واحدة.

قال خالد بحيرة وحزن دفين:

- آسف ابنتي، أنا من جعلتك تصلين إلى هذه الحالة، ليتني منعتك من البداية بأي طريقة! لكنني اخترت ألا أضايقك، اخترت الاختيار الأسهل كي أظل أمامك طيلة العمر الأب المثالي، لا أعلم أنني أحفر بيدي قبرًا لأدفنك فيه مع رجل، لا ليس رجلًا، بل هو حيوان.

نظرت إليه نور وهي تتمنى أن تمنعه من نهر ياسر، لكنها تماسكت، طلب منها أن تتناسى وجود ياسر بالحياة كي تعيش سعيدة، وهو يؤكد لها أن في الحياة مشاعر جميلة لأناس جميلة لم تقابلهم بعد.

*****

دق هاتف نور وعيناها لائجة، تترد تجيب أم لا، وبعد دقائق من التفكير أجابت على الهاتف وكسرت كل قواعدها التي وضعتها مع والدها وطبيبها، استسلمت له، زفرت بعد أن سمعت صوته الحاني الذي تعشقه وهو يتحدث بصوت خافت، أغلقت الأنوار لتتحدث معه على ضوء المصباح الصغير.

تحدث بنبرة تشبه البكاء:

- سامحيني يا نور، كل شيء من حولي يحاربني، وكأن الله يعاقبني على ما فعلته معك، آسيا تعاملني بكبر، تتعالى عليّ، ووالدها يأمرني أن أساعده في عمله دون النظر إلى ما أريده أنا، يفرضون سيطرتهم الكاملة عليّ، ندمت عليك يا حب عمري، كنتِ كالملاك، لم تضعي أعباء فوق رأسي، كل ما أتمناه أن أعود إليك حبيبتي!

تنهدت نور والدموع تتساقط من أعماقها، نظرت حولها، فتحت الباب وأغلقته كي تتأكد أن لا أحد يسمعها، اعتدلت بجلستها وقالت بدلال وحب ورأسها ناحية اليمين، كأنها طفلة

تشكو لدميتها من قسوة الجميع:

- اشتقت إليك حبيبي، لا حياة لي من دونك، أنت من هجرت قلبي وجعلت منه مقبرة للجراح، أنت من ألقيت بي من قلبك لتدهس مشاعري، شاخ قلبي شغفًا بك، لكنك كنت تقتلني بكل نظرة احتقار، ضحكة سخرية، اتهام باطل، أنت من قتلتني بعد أن أعطيتني قبلة الحياة، شاءت الأقدار أن يضيع الحلم وينهار ويعم حياتي المرار، أشتاقك بكل ما أملك حبيبي.

وبعد عودتها إليه وسماع كلمة منه روت عطش السنين وأخمدت نيران الهجر، عادت إلى الحياة من جديد، طلبت من والدها بعض المال لتبتاع ملابس جديدة، عادت الابتسامة تلازمها طيلة الوقت بعد أن كانت تجاهد وتضع رموشًا لتداري دمعها، ظن خالد أن حديثه أثر في ابنته، وكان سعيدًا للغاية.

*****

كره النفس:

قد تظن أنك تكره حالك ولديك آلاف الأسباب لذلك، لكن بداخل كل سبب تجد دافعًا قويًا وعشقًا دفينًا لحالك، فالرغبة بالاهتمام حب للذات، الشعور بالوحدة، الغضب من تصرفات الآخرين، جميعها وغيرها دلائل على عشقك لنفسك، فلا تستهن بنفسك مهما ظننت أنك غير مهم.

الفصل الرابع والعشرون

في شركة مندور، نور تحتسي الشاي مع ميرا، كريم يراجع معها الأوراق الخاصة بالعمل، طلب خالد من ميرا بعض المهام، فاستغل كريم الفرصة ليختلس لحظة مع نور لعله يلفت انتباهها لوجوده، أخبرها بمدى إعجابه بملابسها وإطلالتها اليوم، كانت تبدو مميزة حتى رفعت شعرها إلى أعلى ووضعت قليلًا جدا من المكياچ، وكأنها فجأة اكتسبت ثقة بنفسها، ابتسمت وهي تضم شفتيها وترفعهما إلى أعلى.

الأنثى حين تعشق تتمنى أن تنال إعجاب عشيقها، لكنها ستبهر الجميع سواه.

كثير منا ينكسر خاطرهم وهم بانتظار رد فعل معين لن يجدونه، فتكون صدمة بالنسبة إليهم، أخبرها كريم أنه كذب عليها بشيء ما ويتمنى أن تسامحه، مما أثار فضولها، لكن قطع حديثهما خروج ميرا وبيدها أورارقٌ تعطيها لكريم، تطلب منه إرسالها إلى مكتب أحد العاملين بالشركة. نظرات صمت بين كريم ونور، ثم دق هاتف نور، وصل الحب بها إلى مرحلة الخلة، وهي توحيد مكانة الحبيب، لا تضع أي شخص معه في المكانة نفسها، لا يشاركها بها مخلوق على وجه الأرض أيًا كان.

دلفت إلى مكتب والدها الذي ذهب لأداء صلاة الظهر، وأجابت بصوت خافت كي لا يظهر صوتها، تعلم بوجود كاميرا بالمكتب.

- نعم حبيبي.

أجاب بأنه يريد أن يقابلها بسرعة، فرفضت رفضًا تاما، تعلم أن والدها هذه المرة لن يغفر لها أبدًا لو عادت إلى ياسر واستكانت لحبه ثانيةً، فنور كأي فتاة، تخجل من البوح بعشق رجل أمام والدها، لكن هذا العشق من نوع آخر، وكأنه خارج عن إرادتها، شيء مريب يجذبها إليها ويدفعها للتصرف بجنون، وتترك حالها تتشكل كما يريد حبيبها. استخدم ياسر أسلوبه السابق في الضغط عليها واتهمها أنها لا تحبه لأنها لا ترغب بإرضائه، فطلبت منه أن يحدث والدها ويطالبه بالغفران له، ويترك آسيا وينسى كل ما سبق وتبدأ معه من جديد، فضحك ساخرًا:

- ليس بهذه السهولة، والدك لن يقبلني أبدًا ولو رآكِ تموتين لوعة أمامه، وآسيا لن تسمح لي أن أتركها.

فرفضت مقابلته إلا إذا نفذ ما طلبته، تعجب من رفضها وإصرارها، فلأول مرة تتحداه وتقف أمامه كإنسانة لها متطلبات وحقوق، فقرر أن يغير طريقة التعامل معها لتقع ثانيةً تحت يديه.

*****

وجاء موعد جلستها مع طبيبها، أتت بما دونته في دفترها الخاص بالعلاج، وتناقش معها بعد أن شعر ببصيص أمل بالعلاج حين رآها بكامل هيئتها كفتاة مقبلة على الحياة، سألها بفضول ماذا كتبت، لمَ تحب نور؟ فأعطته الدفتر، تفقده وكأنه متوقع ما ستكتب، وقال بابتسامة انتصار:

- أنتِ تكرهين حالك يا نور؟

هزت رأسها بالإيجاب وهي تقول بخذلان:

- لا أحب نفسي، لا أحبها على الإطلاق.

تناقش معها بكل كلمة كتبتها:

- أولًا: كتبتِ أنك تكرهين اهتمامك بمن حولك دون أن يعيرك أحدهم اهتمامًا.

سألها لمَ تفعل ما لا تريد فعله، هل هي ليست راضية عن كونها تهتم بلا مقابل؟

البشر يعطون ما يريدونه حين يهتم شخص ما بما حوله، فكل ما يرغبه هو التقرب إليهم ليس إلا، يشعر بالغربة، يتمنى وجودهم معه طيلة الوقت، أما نور فأجابت بشكل مختلف:

- أهتم ليتذكروا لي مواقف جميلة، ليروني بأحلامهم حين أموت وهم نادمين على فقدي، لكن حينها لن يعود لنور وجود على الإطلاق، لن أشعر أيضا بالاهتمام، لكن الله سيهتم بأن يحاسبني، سيرحمني، هو فقط من أثق به وبرحمته.

نور مخطئة بما تقول، فإنه لخطأ جسيم بحق نفسك أن تتصرف وفق ما يريده الآخرون وتعطي بلا مقابل.

ثانيًا: كتبت لا تسمح لحالها أن تغفو بوجود المقربين منك.

قال الطبيب:

- هذا خطأ، لأن من حقك أن تأخذي قسطًا من الراحة، هذا ليس حبًا، لا تتفاني في التضحية، لا تبحثي عن الكمال، فالكمال لله وحده.

ثالثًا: تحب بصدق وتتحمل إهانات لا يتحملها بشر.

وهذه هي الاستكانة، قبول الذل والإهانة، وهنا تحدثت مع طبيبها عن ياسر وأنها حقًا تحبه وترغب بالعودة إليه، لكن والدها مستحيل أن يوافق، تحدث الطبيب بثقة يؤكد لها أن ليس هناك مستحيل، لكن ليس قبل أن يخضع ياسر للعلاج، كما أخبرته أن في حياة ياسر فتاة أخرى فضلها عليها، فتحدث الطبيب وهو يخاطب عقل نور:

- على ما أظن، نور الإنسانة تستحق أن تحظى بحب كما تحب، فأنتِ أنثى جميلة مهذبة، ينقصك الثقة بحالك.

رابعًا: تكتم صرخاتها وتكتفي بضجيج قلبها.

وكان رأي الطبيب أنها أيضًا مخطئة وجدًا؛ لا بد أن تتقبل حزنها، غضبها وحتى صراخها، فهي إنسانة، لا بد أن تسمح لنفسها ببعض من الحرية في التعبير دون أي حرج، مَن مِنا لم يصرخ يومًا

ما حزنًا، يبكي فرحًا أو حزنًا، يضحك غضبًا أو سعادة، فالإنسان مسئول كل المسئولية عن إسعاد نفسه، أما نور تتكاسل عن إسعاد نفسها.

خامسًا: تنهار من جرحهم مشاعرَها ثم تضحك أمامهم!

رأي الطبيب:

- لا بد أن تأخذي موقفًا من كل من يقسو عليك، ابتعدي، تخلصي من العلاقات المؤذية بحياتك.

قالت والدمع يترنح بعينها:

- هناك علاقات ليس بيدينا إنهاؤها، جميعهم يرونني ناقصة، وخضوعي للعلاج النفسي جعل لديهم يقينًا أنني ناقصة وعي وثقة.

توقف الطبيب عند هذا الحد ولم يستكمل نقاشها، علم أنها ستنهار إذا استكمل ضغطه عليها.

سادسًا: تظن الجميع معها وتكتشف أن بعض الظن إثم.

رأي الطبيب:

- حقًا، الإنسان يولد وحيدًا ويموت وحيدًا، وبين هذا وذاك يحاول أن يترك بصمة جميلة وسيرة طيبة.

سابعًا: تتحمل غيرة ميرا منها لأنها لا تملك صديقة غيرها.

رأي الطبيب:

- كثير من الفتيات يَغرْن من صديقاتهن المقربات، لكن على

حد علمي أن ميرا صديقتك تحبك كثيرًا، من الممكن أن تكون هناك غبطة ورغبة منها أن تصل إلى ما تملكينه من أسرة ومال ومعجبين. ابتسمت نور وقالت:

- أي معجبين؟! أنا غير مرغوب بوجودي!

الطبيب بثقة:

- لا، بل نور مندور حلم للكثير من الشباب، لو كنت شابًا بعمرك لتزوجتك على الفور.

ضحكت معه واستكملا الجلسة.

ثامنًا: تحب والديها حبًا مرضيًا، وستموت إذا فقدت أحدهما.

رأي الطبيب هو أنها تتعلق بمن حولها تعلقًا مرضيًا، فلا بد أن يتوقع كل منا فقد أي إنسان بأي لحظة، الفراق قاتل موجع مفجع، لكن هذه هي الحياة، تفنى في لحظة.

تاسعًا: وحيدة.

رأي الطبيب هو أن نور ليست وحيدة، بل بداخلها فجوة لم ينجح بملأها والداها وصديقتها وكريم أو حتى ياسر، فدائرة معارفها ضيقة إلى حد كبير، لكن جميعهم يحبونها سوى ياسر الذي لا ترى هي حياتها سوى به ومعه.

أما عما كتبته عن ياسر، فتعجب الطبيب من تناقدها، كيف تريد العودة له، وفي الوقت نفسه، تعلم جيدًا أنه ليس لها؟! تكابر بقتل روحها بيدها، مما دفعه بالشك أن هناك شيئًا غامضًا. كتب

لها جملة وطلب منها أن تكررها وتكتبها عشرين مرة:

«أنا أستحق الحياة، وأتعهد أمام نفسي وأمام الله أن أحب نفسي وأعيش بكرامتي».

*****

خرجت نور من عيادة الطبيب، فخبط كتفها بكريم، فغمز لها وهو يقول برقة:

- نور التي تضيئ الكون هنا.

تذكرت حين قال لها أن هناك أمرًا هامًا يريد إخبارها إياه، فسألته عنه، صمت قليلًا ثم قال...

*****

احذر أن تكشف حالك بتصرف جنوني، كن حذرًا كي لا تخسر الكثير بدافع خوفك من الوحدة.

الفصل الخامس والعشرون

كريم:

- انتظريني قليلًا، سأعطي للطبيب شيئًا وأعود إليكِ.

أخذها إلى المنزل وهي في قمة الرعب خوفًا من أن يراها ياسر، فهي تحافظ على مشاعره رغم كل شيء، وفي طريقهما أخبرها بمرض والده وأن هذه هي الكذبة التي كذبها عليها منذ أن التقى معها، تقبلت كذبته وهي مطمئنة إلى حد كبير، فمن يعش معاناة المرض النفسي من الصعب أن يجرح مشاعر مريض آخر ولو بكلمة أو إشارة بجنون، فالمريض النفسي قد يصاب بهستيريا بمجرد أن يقول أحدهم له أنت مجنون.

أجابته نور برضا:

- ولماذا لم تخبرني بالحقيقة، فأنا اعترفت لك بكل شيء منذ البداية؟

ابتسم ورفع حاجبه، غمز بعينه وقال:

- لأن التي أمامي الآن ليست صديقة قديمة، ليست صديقتي في العمل، لا هي ليست نور التي رأيتها من قبل.

احمر وجهها خجلًا ولكزته وهي سعيدة بكم المشاعر التي أعطاها لها دون مقابل.

دلفت الشقة وهي متخبطة المشاعر، فكريم يجذب انتباهها ويحرك مشاعرها، يزلزل أنوثتها باهتمامه، وياسر ما زال يستغل عشقها، يضغط ويجرح يقسو ويبعد، بل وما زال العائق الذي يقف أمامهما قائمًا، (آسيا) فكرت للحظات ورفعت شفتيها حزنًا على حالها، وضعت يدها فوق جبهتها، انتظرت حتى منتصف الليل، وكلما تذكرت حديث كريم تبتسم، أصابتها حالة من القلق، هل ياسر غاضب منها لرفضها مقابلته؟ تفكر ماذا تفعل لترضيه، اتصلت به لم يجب، كررت اتصالها عشرات المرات، لكنه اختفى ثانيًا ثانيةً، لم تجد ولا وسيلة لتتواصل معه، فكرت إلى مَن ستلجأ، فافترشت سجادة الصلاة وزينت وجهها الملائكي بحجاب أسود وبكت ساجدة، ألقت كل همومها على الله، بكت حتى انشرح قلبها ثم نهضت ولملمت سجادتها وهي مطمئنة إلى حد كبير، جاءت ميرا لتأخذها كي تبقى معها هذه الليلة، لملمت أشياءها ووالدها في قمة غضبه، فهو كأي أب لا يقبل أن تنام فتاتان وحدهما، لكنهما أقنعاه بأخذ رويدا معهما كي يطمئن، فوافق على مضض، فرغم القرب ميرا تخجل من النوم في منزل به رجل غريب، حتى لو فعلت ذلك من قبل، لا تريد أن تكون ثقيلة عليهم، فخالد رغم مشاعر الأبوة التي بينهم يبقى غريبًا عنها، سهرت مع صديقتها حتى الصباح ثم طلبت من ميرا هاتفها لتأخذ منها نغمة أعجبتها كثيرًا، وفجأة تغيرت ملامحها دون مقدمات، تسألها ميرا عن سبب غضبها، تنكر بشدة ما رأته، كان صادمًا لم تتخيله، لم تتوقعه أو يخطر ببالها يومًا ما.

كريم يعترف لوالديه، يتحدث دون خوف، يبتسم ويتفقد ردود أفعالهم، يقول بثقة وكأنه طفل صغير يعترف لوالديه بفعلته بالمدرسة:

- لأول مرة أشعر بهذه المشاعر، لا أنكر لفترة ما كنت على علاقة بفتاة، كانت علاقة مرهقة، لكن نورًا شيء آخر، إنسانة جميلة إلى حد كبير، قلبها يحمل من الحب ما يكفي لترميم مشاعر كثيرة زرعت بداخلي، بطفولتي، (أشار بيده).. لكنني بخير الآن، كل ما أتمناه أن تدعوا لي أن أحظى بمكانة في قلبها وأن تشفى تمامًا لأصارحها بمشاعري.

أخذته والدته بين ذراعيها:

- إذن سأبدأ أغار! نور ستأخذ مكانًا في قلبك.

فابتسم وأخبرها أنه مهما حدث لن يأخذ إنسان في الكون مكانها، أما والده فكان سعيدًا، فلأول مرة يشعر أنه قريب إلى هذا الحد من كريم، يتحدث أمامه دون خوف أو خجل، يشعر بأبوة حقيقية.

*****

نور تتقلب بالفراش وهي غير مستوعبة ما يحدث.. لمَ هذه الرسائل على هاتف ميرا؟ ما الذي يربطبها بياسر؟ وما الذي يقسم عليها ألا تخبرني إياه؟ هل هناك شيء بينهما؟ اعتدلت ولكزتها فنهضت بخوف.

- ماذا يا نور؟ لمَ تلكزينني؟ أريد أن أنام!

زفرت نور وهي تتحدث بغضب:

- متى أرسل إليك ياسر هذه الرسائل؟ وما الذي يربط بينكما؟ كيف يجرؤ أن يتغزل بك؟ وكيف لا تخبريني؟

ميرا بصوت يفوق صوت نور:

- يتغزل بمن؟ أتظنين أنني من الممكن أن أنظر إلى مثل هذا الرجل! لا أنظر إلى بقايا الرجال، لست مثلك، لن ترضى إنسانة، وأؤكد حديثي إنسانة على وجه الأرض أن تعجب بهذا الشاب!

نور بغضب:

- أنا لست إنسانة بنظرك إذن!

أشارت ميرا إليها أن تخفض صوتها، وقالت وهي تشير بإصبعها إلى نور:

- أنتِ إنسانة ولكن إنسانة مهانة.

سمعت رويدا صوتهما وهي بالمرحاض المجاور للغرفة، فدفعت الباب بقوة ودلفت، أمسكت بشعر نور وهي غاضبة، تضربها بكل ما أوتيت من قوة:

- كيف عرفتِ رقم ياسر يابنة مندور؟!

ماذا ستفعل بعد أن كشفت حالها؟!

والدتها في قمة غضبها، وهي تفكر في رد مناسب عليها، تلعثم لسانها فقالت ميرا بانتصار:

- إذن عرفت سر سعادتك الأيام الماضية!

فوضعت نور هاتفها بحقيبتها ورحلت ووراءها والدتها تصرخ بوجهها:

- إلى أين ستذهبين في هذا الوقت؟

فعادت خوفًا من والدتها، انتظرت حتى موعد عيادة طبيبها وذهبت إليه وعلامات الخوف ترتسم على وجهها، وقالت له وهي ترجف:

- عدتُ إلى ياسر، اقترب ثم اختفى ككل مرة، بغبائي أخبرت أمي.. ستخبر أبي.. سيقتلني.. أرجوك أعطني عقارًا يجعلني أموت في الحال!

طلب منها أن تهدأ وأعمل المسجل على موسيقى معينة، بكت وهو يحاول أن يصل معها إلى نقطة فاصلة، وسألها:

- ممَ تخافين؟

أجابته:

- أخاف أن تقول أمي لوالدي أنني ما زلت أتحدث مع ياسر.

الطبيب:

- وماذا لو أخبرته بذلك؟

- سيقتله ويقتلني!

الطبيب:

- ماذا سيحدث لو قتلكم؟

نور:

- سأموت وأبي غاضب مني.

طلب منها أن تفكر بآخر ما يمكن حدوثه لتتخلص من خوفها، حتى الموت لا يستدعي الخوف، فهو مقابلة مع من هو أرحم من جميع الخلق، هدأت إلى حد كبير بعد أن سمح لها الطبيب أن تبكي حتى تشعر بارتياح، وفي أثناء الجلسة، رفضت تمامًا التحدث مع الطبيب أو قول ما يطلبه منها، فهي في قمة خوفها، وخجلها من نفسها، أعطاها ورقة وطلب منها أن تكتب:

(أنا محتاجة إلى أن أحس وأصدق وأمارس، إنني أستأهل شروطا لحسابي كي...)

امتنعت عن الكتابة، فطلب منها أن تساعده قليلًا فقالت:

- كي أعيش كأي أثنى في الكون.. كي أستمع إلى كلمات جميلة تزيد من ثقتي بحالي.

اكتفى الطبيب بهذا القدر وأنهى الجلسة بعد أن كفكفت دمعها وخرجت مبتسمة.

عادت نور إلى المنزل فوجدت ميرا ووالدتها بانتظارها على أحر من الجمر، طلبت منهما أن تدعاها وشأنها، اتصلت بوالدها طلبت منه أن يقابلها بأقرب مكان، فهي تحتاج إلى احتضانه لتختبئ به من العالم المخيف، أتى إليها في تمام الساعة الخامسة، شعرت بالعطش، فوضع سيارته جانبًا ونزلت هي لتبتاع زجاجة مياه غازية وأخرى معدنية، فحدث ما لا يتوقعه!

*****

الاستكانة: الإهانة في الحب.

تحمُّلك للإهانة قد يضعك محلًا للشك، يظنون أنك قدمت تنازلات عديدة لم تفكر أنت بها يومًا ما.

الفصل السادس والعشرون

نور تقف في الشارع ترفع شفتيها إلى أعلى، البشر من حولها يضحكون، يشيرون إليها بسخرية، وكل منهم يثرثر بأذن الآخر، نزل خالد من السيارة ليفهم ما يدور، سألها:

- ماذا بك يا نور؟ ماذا فعلتِ كي يضحكون؟

اغرورقت عيناها بالدمع وهي تقسم أنها كانت هنا، كانت هنا، أخذها من يدها إلى السيارة، سألها بفضول:

- مع من كنتِ تتحدثين يا نور؟!

فأجابت:

- سيدة عجوز صفعتني، اتهمتني بالفشل والخوف من كل شيء، قالت إنني لا أستحق العيش، وحين وددت أن أرد عليها اختفت فجأة، نظرت حولي وكأنني استيقظت فجأة من غفلة، فوجدت الناس يضحكون ويشيرون إلي، ألا تعلم أين ذهبت أبي؟ هيا نبحث عنها لنعرف لمَ تقول لي كل هذا.

أشار إلى شفتيها كي تصمت، وضع رأسها فوق صدره وقال بحنان:

- لم يكن أحد أمامك ابنتي، كنتِ تحادثين الهواء!

بكت وهي تكتم صرخاتها، تفتح فمها كي يخفي صوتها الذي لو خرج لزلزل الكون، أخذها والدها إلى المنزل، أعطاها دواءها وجلس بجوارها وهي نائمة يعبث بخصلات شعرها، يتفقد جبهتها، يتمنى أن تكون محمومة كي يعتبر ما حدث مجرد تخاريف، لكنها فقط مخدوعة موجوعة.

*****

ميرا ورويدا تقفان بعيدًا، لا تدركان ماذا أصاب نورًا، فاعترفت كل منهما لخالد بما حدث قبل أن تخرج نور، أخبرته ميرا عن رسالة ياسر لها وهو يتغزل بملامحها يطلب منها أن يقابلها، فهو حين رآها لأول مرة شعر تجاهها بشيء غامض، صمتت قليلًا وقالت:

- لم ترَ نور كيف رددتُ على حديثه هذا.

فميرا ليست ساذجة أو مسكينة كنور، بل هي واعية تمامًا بما تقول، هددته أنها ستأخذ الرسالة إلى الشرطة وتطلب منه إقرارًا بعدم التعرض بعد أن عنفته وطالبته بالابتعاد عنها وعن صديقتها، استكملت حديثها وهي تقول:

- بعد أن ضربتها والدتها ازداد بكاؤها، ونامت وهي تضم قدميها وكأنها متقوقعة بحالها.

نظر خالد إلى رويدا بلوم، كيف تضربها وهي في هذا العمر وفي هذه الظروف؟ فرويدا مختلفة تمامًا عن خالد، هي تقسو كي ترى

ابنتها بأحسن حال، أما خالد يحن ويحن ويدلل حتى أفسد كل شيء بخوفه عليها، والاثنان مخطئان، فالوسطية في التربية هي الحل الأمثل.

دلف إلى غرفة نور ليسألها من أين علمت برقم هاتف ياسر، فسمع صوت هاتفها يدق، إنه كريم، أجاب خالد:

- نور وضعها سيئ جدا.

شعر كريم بخوف دفين، فطلب من خالد أن يراها، لكنه رفض وأعطاه موعدًا في اليوم التالي، فهي ليست جاهزة لمقابلة أي شخص، استيقظت وهي تعبث بعينيها، فطلب والدها أن تغسل وجهها وتأتي إليه كي يتحدث معها بأمر هام، فعلت، وعادت، سألها:

- من أين علمتِ برقم ياسر الجديد؟

فأجابت بخبث:

- رأيته على برنامج توضيح الأرقام.

لم يصدقها، فقرر أن يراقب تصرفاتها من بعيد، ليعلم هل عاد يعبث بقلبها وعقلها من جديد أم هو مخطئ.

*****

كريم يعبث بصور قديمة، تفقد صوره مع تامر في مراحل عمرهم المختلفة، تذكره حين كان يمزح معه أنه سيتزوج من فتاة تشبه عسكري المرور، لسخريته من الجميع، لا يعجبه أحد، مسح عينيه بيده وترحم على صديقه، بل أخيه تامر، دخل والده فقبل جبينه واعتذر له أنه لم يسمح لوالدته أن تنجب له طفلًا آخر ليؤنس وحدته، فربت كريم على يده وقال بابتسامة تعتلي الدموع:

- أنت أخي وأبي، أصبحت أحبك وتعوضني كثيرًا عما سبق.

اطمأن والده بعد أن سمع منه هذه الكلمات، فكلمة واحدة قادرة على تغيير حالته النفسية.

*****

نور تقف أمام والدتها، نظراتها لم تخلُ من اللوم والخوف، طلبت منها والدتها أن تجلس فجلست على طرف المقعد وهي تضم ذراعيها، تحدثت رويدا:

- أنا والدتك، أخاف من الهواء الطائر أن يهمس بأذنك، لم يحبك أحد مثلي، أخاف عليك حبيبتي، والآن سأسألك سؤالًا وتجبيني بكل صراحة، لن أؤذيك مهما كانت الإجابة.

كان السؤال صادمًا إلى درجة جعلت نور تفتح فمها وتصمت تمامًا.

لم تتعجب والدتها من صمتها، روت لها ما حدث:

- حين تعرفت على والدها، حينها علم والدها بالأمر فراقبها وهي تقابله، وأخذ رجال العائلة ليلقنوه درسًا لم ينسه، حينها وقفت رويدا أمامهم وبيدها سكين توجهه ناحية صدرها وهي تهدد الجميع إذا لمس أحدهم خالدًا ستقتل حالها، وكان هذا الأمر وصمة عار لوالدها بعد أن وقفت أمامه صوب رجال العائلة جميعًا.

استكملت والدمع يكاد يقفز من عينها:

- هددوني بالوأد، فهربت في الليلة نفسها مع والدك بعيدًا، جئت معه إلى القاهرة، وبدأ من لا شيء، تركت كل شيء وراء ظهري وهربت، لأنه حقًّا يستحق التضحية، حينها حالتي النفسية تأثرت كثيرًا، والدك يدخر المال ليبتاع لي دوائي ونعيش حياة بسيطة في شقة صغيرة يملأها الحب، تعب والدك كثيرًا، عمل في مجالات عديدة، تحمل فترة تعبي وخوفي -حين حملت بك- من أن تكوني مشوهة من كثرة الأدوية التي تناولتها كل يوم في التسعة أشهر، مرت علينا كسنوات عجاف، الرعب جعلنا لا ننام خوفًا عليك، لكن ليس بيدي يا ابنتي، كنت مريضة، كنت أرى فتاة تضربني وأنا وحدي تنهرني، كنت أرتعب من المكوث وحدي ولو لدقيقة واحدة، لازمتني لفترة لا بأس بها حتى أثبتت لي طبيبتي أنها سراب، ذات يوم كنت في عيادة طبيبتي، رأيتها هناك تنظر إلي نظرات مرعبة، كان دوري لم يأتِ بعد، دلفت غرفة طبيبتي دون استئذان وأنا أمسكها من يدها أطلب منها أن تأتي معي كي تراها،

وكانت المفاجأة، هذه فتاة تتناول العلاج عند الطبيبة نفسها، وحين رأيتها تجسدت أمامي الصورة التي أخشاها.

بكت كل من رويدا ونور، روت لوالدتها ما حدث بالشارع وهي مع والداها، فضمتها، فما أقسى أن يرى المرء أشياء ليست واقعية ويسخر منه من حوله دون رحمة، دون وعي، يجد حاله في العالم وحيدًا، يتزلزل داخليًا، رفعت رويدا ذقنها قليلًا، أغلقت فمها وبكت حسرة على ما شعرت به ابنتها.

سألتها نور:

- هل فعلًا أمي تظنين أن ياسرًا اعتدى عليّ بإرادتي أو غير ذلك؟

رويدا بثقة:

- لو لم أكن في مكانك يومًا ما، كان سؤالي حقيقيا، فأنا وضعت في موقفك نفسه، لكن مع رجل يستحق الحب والتضحية.

ثم استكملت:

- أخذنا والدك أنا وأنتِ إلى والدي لأعتذر له على ما بدر مني، لكنه لم يسامحني، وحين أنجبت وعرفت معنى كلمة أبناء، ندمت على كسر خاطر والدي أمام الرجال، لكن لا داعي للبكاء على كسر الخواطر، فليسامحني الله على ما فعلته.

دلفت نور غرفتها لترتاح قليلًا فدق هاتفها.

صحوة الحب: فجأة تنهض من غفلتك نادمًا على كل ما فعلته، لتحظى بالحب بعد أن تيقنت أنك قدمت كل ما بوسعك، تحملت حتى طفح الكيل، حينها تصحو وكأنك من أهل الكهف، نائم دون أن تشعر.

الفصل السابع والعشرون

كريم يطمئن عليها ويحكي لها تفاصيل يومه، يسألها عن حالها، يصغي إليها وهو مسرور، اتفق معها أن تتناول معه الغداء في اليوم التالي، فكرت قليلًا ثم وافقت، فهي بدأت تشعر بلذة الاهتمام، هذا الذي تمنته طيلة عمرها لكن من شخص آخر. وفي اليوم التالي، مر اليوم كأي يوم، وفي نهاية اليوم عادت إلى المنزل لترتدي أجمل ثياب لديها، ولم تضع نقطة مكياج واحدة، خرجت وهي مطمئنة وتشعر بالانتصار، فهي من وجهة نظرها تخون ياسر الذي فضل آسيا عليها. ركبت تاكسي ليأخذها إلى هناك، السائق يرتدي غطاء رأس يحجب وجهه، غير مسار الطريق التي تحفظه هي تمامًا، سألته لمَ يسلك هذا الطريق، فأغلق السيارة بالكامل، تعالت أنفاسها خوفًا، فأشار إليها أن تصمت وكشف وجهه، يااسر هو من يقود السيارة! لم تعرف طبيعة مشاعرها حينها نزل من السيارة في مكان يسوده الظلام، نزلت هي وراءه تسأل بفضول عن سبب أخذه لها بهذه الطريقة، فاقترب هامسًا بأذنها:

- أحبك يا نور!

تذكرت حديث الجميع، كيف يحبها وهو فعل كل ذلك ليتخلص من خطبتهما، فتحدثت بطلاقة:

- لا، لم تحبني يومًا ما، لم تعطني نصف ما أستحق، أنت إنسان أناني، ترغب بتملك كل شيء.

اقترب منها وحاول أن يقبلها وتحسس ظهرها، شعرت بغرابة تصرفاته فصرخت، لم يسمعها أحد، جرت بعيدًا وهو وراءها يحاول أن يمسك بها وهي لا تفهم شيئًا، أخرجت هاتفها من ملابسها واتصلت بكريم وهي تصرخ بخوف:

- أرجوك، الحق بي.. ياسر خطفني ويحاول الاعتداء علي، الحقني أرجوك، أخبر أبي أن يلحق بي أرجوك!

جن جنون كريم بعد أن أغلقت نور الخط فجأة، اتصل بخالد بسرعة وأخبره بما حدث، فألقى كوب الشاي الذي يحتسيه بالحائط ونزل بسرعة جنونية، أخذ كريم إلى القسم ليقدم بلاغًا بما حدث، فالمكالمات التي تأتي على هاتف كريم تسجل تلقائيا.

*****

نور ما زالت تقاوم ياسر الذي جن جنونه حين طلبت من كريم خصيصَى أن ينجدها منه، أحكمها بخانة صغيرة فدفعته بقوة، سقط على حجر فسال الدم من وجهه وفقد الوعي تمامًا، صرخت بخوف:

- يااااسر! أرجوك انهض يااااسر!

أخذت هاتفها منه، فتحته وتحدثت مع والدها على الفور، خالد يجلس أمام الضابط، فجأة اتصال من هاتف نور، أمره الضابط أن ينتظر حتى يتم مراقبة هاتفها لتحديد مكانه بالخريطة، اتصلت بكريم لم يُجِب أيضًا بأمر الضابط، جلست تبكي وتبكي،

حتى جاء من بعيد كلب أسود كبير، تمكن الخوف منها، اتصل والدها فأجابته بذعر:

- أبي، الحقني أبي، قتلت ياسرًا، أرجوك الحقني أبي!

ظل معها على الهاتف حتى وصل إليها هو وعربة الإسعاف والشرطة، أخذت الإسعاف ياسرًا، ونور تختبئ بوالدها رعبًا، نظرت إلى سيارة الإسعاف، تفكر هل تذهب مع ياسر أم ستتركه بعد أن حطم بيده آخر جزء كان له بقلبها. أشار والدها بيده لا، وأعطاها هاتفه لتشاهد الفيديو الذي أرسله إليه ياسر، أغمضت عينيها من قسوة الموقف، تأكدت من خروجه من قلبها إلى الأبد، فهي تقبل منه أي إهانة سوى الاعتداء عليها جنسيا، أما أن يكشف هذا الأمر أمام والدها وضحكات أصدقائه لا يمكن أن تتحمله، فرغم كل شيء لديها كرامة، لو ستدهس قلبها لن يدخل مجددًا من هذه اللحظة، كل ما جال بخاطرها، ماذا لو مات ياسر، ستُلقى في السجن؟!

أخذها الضابط إلى سيارة الشرطة والدمع يغرق وجهها ونظرات الخذلان بعين والدها، تتمنى الموت أفضل من أن يراها والدها بهذا المنظر.

*****

في المشفى حركة سريعة وتوتر، أخذ الأطباء ياسرًا بسرعة إلى غرفة العناية المركزة، نور مصابة برعب، اتصل والدها بطبيبها ليراقبها في هذا الموقف، تحدث معه بصوت يشبه البكاء:

- سأعطيك كل ما أملك من أموال مقابل إنقاذك ابنتي.

نور كلما نظرت إلى يديها والحديد الذي يلتف حولها تغمض عينيها وتبكي بحرقة، ساعات رتيبة مرت على الجميع، نور تدلي باعترافاتها أمام النيابة، كريم يقف بجوارها، يساندها كظلها، خالد في قمة حزنه وخوفه على ابنته وخجله مما يحدث.

آسيا تقف أمام غرفة ياسر تتمنى أن يبقى حيا كي تعاقبه على ما فعل مع ابنة مندور، متناسيًا وجودها بحياته، خرج الطبيب من غرفة ياسر وسأل عن أهله، فهرول والده.

الطبيب:

- هو مصاب بنزيف داخلي، لكنه سيكون بخير.

طلبت آسيا الدخول له كي تراه، فرفض الطبيب تمامًا، سمح لهم بالزيارة في اليوم التالي، فدلفت بعد أن طرقت الباب، لكنه لم يسمع فهو نائم تمامًا، جلست إلى جواره والأسلاك حول جسده، تحدثت معه وكأنه يسمعها:

- سأتركك يا ياسر، أنا كنت مجرد فرصة لك لتربح مزيدًا من المال، وبعد أن أخذت وضعك بالعمل في شركة أبي ذهبت لتعبث بمشاعر نور كي تعود إليها بعد أن كوَّنت عددًا لا بأس به من

العملاء وحسابًا كافيًا في البنك. (ابتسمت بحزن)، نحن المخطئون، خطة والدي للإيقاع بشركة مندور لم تكن محكمة، كان يكفي زرع فارس بالشركة وخِداعه ميرا كي يسرق أوراق المناقصات، لكن لم يكن هناك داعٍ أبدًا إلى تقربي من ياسر لتتأثر نور فتشغل خالدًا ويقصر في عمله، كنا مغفلين جميعًا.

ابتسمت والأسى على وجهها، قالت بحزن:

- أبارك لك شركتك التي صنعتها من فتات مشاعري أنا ونور، أما الآن سأتركك وحيدًا، كنتُ أعلم أنه لا بد من تركك، كنتُ أكابر وأعاند مع نور، لكنني لست ذليلة لك مثلها، لم ولن أحبك يا ياسر، لم يدق قلبي تجاهك ولو دقة واحدة.

خلعت خاتم خطبتها، وضعته بجواره، خرجت من الغرفة ورأسها شامخ.

والد ياسر ينتظر لحظة نهوض ابنه كي يفهم لمَ فعلتْ به نور ذلك، فهو يعلم أنها عبرت معه مراحل الحب كافة، نظر إلى آسيا يسألها عن سر رحيلها، فربتت على كتفه:

- سيكون بخير، اطمئن.

رحلت إلى الأبد من حياة ياسر تاركة وراءها ذنب نور التي جرحتها.

*****

نور تمكث في الحجز لمدة أربعة أيام على ذمة التحقيقات، تنتظر لحظة خروج روح ياسر من جسده أو إفاقته ونجاتها من السجن، كريم لم يتركها، والده أيضًا جاء ليقف مع خالد في محنته. وبعد مرور يومين، استعاد ياسر وعيه فاستُجوب، اعترف أنه كان يمزح معها وأخرج رسائل الشوق التي أرسلت له إياها قبل أن يختفي آخر مرة، أكد للضابط أنهما ما زالا على علاقة بعضهما ببعضٍ، وما حدث مجرد شجار بسيط، فسأله الضابط:

- تقول نور إنك حاولت الاعتداء عليها!

أجاب ببرود:

- كيف أعتدي عليها وهي على استعداد تام لترك عائلتها والعيش معي؟!

وُوجهت نور بما قاله ياسر، مصدومة هي مما قال، طبيبها يحاول تهدئتها، دموعها لم تتوقف للحظة، كريم مصدوم كيف عادت نور إلى ياسر رغم وجوده معها وعدم تركه لها للحظة، انسحب من القسم بعد أن كسرت نور خاطره وأشعرته أن وجوده يشبه العدم، وعدل عن قرار زواجهما.

*****

الندم: الندم بمثابة اعتذار للذات عما اقترفناه بحقها، لكن لم يُجدِ الندم بشيء، لم يمحُ آثار الماضي مما حدث.

الفصل الأخير

تنازل ياسر عن المحضر وأخبر الجميع أنه كان مجرد شجار بينه وبين حبيبته، رفض خالد وطلب من النيابة معاقبة نور، فهي ليست حبيبته، وبعد تجديد الحبس أربعة أيام، تَحدَّدَ موعد جلستها في المحكمة.

وهناك سألها وكيل النيابة في جلسة المحكمة أمام الحضور:

- هل كنتِ على علاقة بالمدعو ياسر؟

أجابت نور:

- هل هناك محاكمة لقلب عشق بصدق؟ أنا أستحق العقاب، فأنا أحببته حبا لم يشهده العالم، لم يقرأه أحد بالأساطير، كسرت قواعد احترامي لوالدي من أجله، حطمت مبادئي، قبِلتُ إهانات، وكانت النتيجة كسر قلبي وكسر خاطر عائلتي، إذا كانت هناك محكمة للعاشقين فأنا تمت معاقبتي بالإعدام جرحًا، وذبحًا، دفعت ثمن كل لحظة عشق عشتها مع هذا الشخص!

ثرثرة بالقاعة، فخبط القاضي وقال بصرامة:

- محكمة! حكمت المحكمة ببراءة نور مندور من التهمة المنسوبة إليها، وحبس المدعو ياسر بتهمة تضليل المحكمة والإدلاء بمعلومات مغلوطة مع وقف التنفيذ وغرامة تقدر بخمسة آلاف جنيه.

خرجت نور مع والديها من المحكمة خاسرة كل شيء؛ قلبها وكرامتها، وفي آخر جلسة لها مع طبيبها كانت جلسة علاج جماعية تضمها وزملاءها بالعلاج، ومن ضمنهم يوسف الحلواني، والد كريم، وبطبيعة الجلسات الجماعية وجهت نور حديثها إلى يوسف، زفرت وتحدثت بحنق:

- أنا نادمة كثيرًا! خسرت كل شيء، الآن نادمة على كل ما مررت به، كل ما يجعلني راضية عن حالي هو عشقي للكتابة، هي ما يخرجني من صمتي وتجعلني أحيا حياة أخرى مع نفسي في عالم خاص بي، والآن أبتسم حامدةً ربي على ما مررت به لأنني تلقنت درسًا لن أنساه أبد الدهر.

)لا تعطِ قلبك لشخص يحاول كسره، فقط اهرب بما تبقى من كرامتك وابدأ من جديد متحملًا وحدتك)

أنهى الطبيب الجلسة، فدلف من باب غرفة العلاج الجماعي كريم وبيده دفتر بشكل القلب أحمر اللون، أعطاها إياه، فتحته فوجدت خاتم خطبة بداخله، ابتسمت ونظر إليها، الجميع يشيرون إليها:

- وافقي يا نور، كريم يستحق قلبك، هيا نور، هيا نور!

أوقفها صوت حنون يقبل يدها وجبهتها، نعم إنه خالد يربت على كف كريم ويقول:

- ستكونين بأمان مع كريم يا ابنتي.

تدخلت رويدا بالحديث وقالت:

- أنا موافقة أيضًا.

أما ميرا فأحضرت بوكيه ورد ألقته بيد نور وهي تبتسم وتفتح ذراعها وتغمز بعينها:

- وافقي يا صديقتي!

وافقت نور، وفي يوم زواجها يقف ياسر أمام الفندق المقام به الزفاف يبكي بحسرة على خسارته حب نور وآسيا التي تركته، خسر كل شيء وفقد ثقة الجميع بعد ما فعله مع نور مندور، والآن جاء عوض الله، نور في قمة الرضا عن حالها، تحاول البدء من جديد، وياسر يقف مكانه ويدفع ثمن عبثه بمشاعر البشر.

وانتهت القصة ببداية حياة جميلة بين كريم ونور.

تمت بحمد الله

٢٠١٨/١٠/٢٦

شكر خاص

د. أسماء عبد الوهاب عيسى

استشاري الطب النفسي والعلاقات الأسرية

عضو الجمعية الأمريكية للصحة النفسية

عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية

على جهدها في إخراج الرواية بهذه الصورة وإمدادي بالمعلومات النفسية الكافية وإعطائي كثيرًا من وقتها ليخرج هذا العمل إلى النور دون معلومات نفسية مغلوطة.

إهداء خاص

إلى صغيرتي كندة وصغيري آدم.

والداعم الأول لي، الجندي المجهول برحلتي في الحياة.

لن أنسى دور صديقتي/ رويدا زكريا وتشجيعها لي على استكمال الرواية.